



دكتور
السيد حنفى محمد حنفى
كلية الآداب - جامعة الزقازيق

النَّبِيُّ وَمَجْمَعُ التَّعَالَمَاتِ

دراسة سوسيو أنثروبولوجية

في
دار السلام النبوية
محافظة أسوان



الناشر
مكتبة نهضة الشرق
جامعة القاهرة

١٩٨٤

دكتور
السيد حمدي عوف
كلية الآداب - جامعة الزقازيق

النوبير ومجتمع التعاويذ

دراسة سوسيو أنثروبولوجية

في
دار السلام النوبية
محافظه أسيوط

الناشر
مكتبة نهضة الشرق
جامعة القاهرة

١٩٨٤

الطبعة التجارية الحديثة
٢٢ شارع ادريس رافع بالظاهر
تليفون ٩٠٢٢٦٤ القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاللَّهُ يُدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .
(سورة يونس - آية ٢٥)

مَيْمَنًا نَحْنُ أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَنَحْنُ

لَا يَكْفِيهِ وَنَحْنُ أَوْلَى بِالْأَمْرِ مِنَ الْإِسْلَامِ

وَمِنْ قَسَمِهِ لَمْ يَكُنْ لَنَا إِذْ لَمْ يَكُنْ

(وهو قوله - حشره -)

المحتويات

منحة

٧ مقدمة المؤلف

الجزء الأول

الدراسة النظرية

الفصل الأول :

١٣ النوبيون ومسيرة الحضارة المصرية

الفصل الثاني :

٣٧ النوبيون بين الهجرة والتهجير

الجزء الثانى

٤٣ مدخل للدراسة الميدانية

الفصل الثالث :

٤٩ مجتمع قرية دار السلام النوبية

الفصل الرابع :

المزارع التعاونية • المجالات النظرية والتطبيقية ، وتجربة

٦٦ مزرعة دار السلام النوبية

1. 1.

1. 1.

1. 1.

1. 1.

1. 1.

1. 1.

1. 1.

1. 1.

1. 1.

1. 1.

1. 1.

1. 1.

1. 1.

1. 1.

مقدمة المؤلف

حاول كثير من الفلاسفة والمصلحين الاجتماعيين وأصحاب العقائد الدينية والمذاهب السياسية ، أن يشكلوا مجتمعا مثاليا ، يعتمد على الانتاج التعاونى ، كنموذج لتصورهم الذى يستهدف سعادة البشر ، وبالرغم من أن هذه المحاولات لم تحقق أهدافها ، إلا أنها أسفرت عن قيمة علمية ، أسهمت فى تراث الفكر الانسانى .

وفى مصر قامت تجربة المزرعة التعاونية ، بقرية دار السلام النوبية ، بجهود تعاون جماعة من النوبيين ، استطاعوا أن يقدموا نموذجا فريدا للعمل التعاونى ، لفت أنظار المتخصصين فى مجالات علم الاجتماع والانثروبولوجيا والاقتصاد الزراعى . كما استطاعت العلاقات العامة بمحافظة أسوان أن تجعل من هذه التجربة شواهد للوقود الزائرة لها من المصريين والأجانب على حد سواء .

والواقع أن هذه التجربة لم تأت من فراغ ، وإنما جاءت نتيجة تحديات فرضتها ظروف اجتماعية قاهرة ، أدت الى هجرات جماعات من النوبيين مع بداية انشاء خزان أسوان وتعليته ، واختار هؤلاء أرضا لأنفسهم يقيمون عليها مساكنهم ومزرعتهم التعاونية .

بعد ذلك اتسعت عمليات التهجير للنوبيين بشكل جماعى مع بناء السد العالى . ومع ذلك ظلت جماعات منهم متمسكة بالأرض التى عاشت عليها حضارتهم عبر آلاف السنين ، فارتفعوا

بمساكنهم على هضاب الجزر(*) بين مياه الخزان والسد العالى ، يعيشون على الذكريات وهامش الحياة ، لا يملكون لواقعهم غير الأمل فى عون الدولة من الخدمات الضرورية لمعيشتهم .

والدراسة التى بين أيدينا دراسة سوسيوانثروبولوجية ، حول قرية دار السلام النوبية ومزرعتها التعاونية ، الواقعة بالقرب من مدينة أسوان .

وقد يلاحظ القارئ أننى أضفيت على الجزء الأول من هذه الدراسة الطابع التاريخى والأثرى ، والحقيقة أن هذا الطابع هو بمثابة معطيات أجدها ملائمة لهذه الدراسة . فالتاريخ وعلم الاجتماع كلاهما ينظر الى التغيرات التى حدثت فى مسيرة الحضارة الانسانية على أساس أنها أهداف لمحاولات انسانية للسيطرة على الأحداث ، وتنظيمها ، وهذا يتطلب أن نحول اهتمامنا فى الدراسات التاريخية من الماضى الى الحاضر ، ومنه الى المستقبل ، لكى نصل الى الخط العام لمسيرة المجتمع . أما بالنسبة لمعطيات علم الآثار بالنسبة للاجتماعيين والأنثروبولوجيين ، فإن هذا العلم يستطيع ان يقدم من خلال اكتشافاته ، بصفة عامة ، تفسيراً للحقائق حول الجزء التاريخى للماضى الذى لم تتعرض له السجلات المكتوبة .

بعد ذلك يبقى لى أن أقول ، أن طبيعة دراستى تفرض على

تعد (*) تقع هذه الجزر امام معبد فيلة ، ومعظم سكانها من الكنوز وهي : هيسة (١٤٢٤) نسمة ، بيجا (١٧٣) نسمة ، عواض (٤٦٦) نسمة ، الشلال (٧٦٥) نسمة . انظر : التعداد السكانى لجزر الخزان ، التخطيط الاقليمى بأسوان (١٩٧٦) .

أما الأهمية التاريخية لهذه الجزر وخاصة جزيرة هيسة . فكانت مقرا لمدافن الكهنة والكاهنات الذين كانوا يعملون فى معبد فيلة ، والملاحظ ان القيمة الأثرية لهذه الجزيرة قد تالشت بعد نقل المومياء الى متحف جزيرة الفنتين فى مواجهة مدينة أسوان . انظر :

الاستفادة من هذه المعطيات ، طالما أن هذه المعطيات قادرة على إثراء الدراسة بالجذور التاريخية لطبيعة الحياة الاجتماعية لهذا المجتمع ، الذى ينفرد بمظاهر ثقافية عن باقى الجماعات التى يعيش بينها •

ومن السمات الأساسية لمظاهر الثقافة للنوبيين ، تلك التى ينفردون بها عن غيرهم ، أنهم قد استمدوها بالميراث من أجيالهم السابقة، ومازالوا يحافظون عليها ليورثوها لأجيالهم اللاحقة ، بشتى أساليب التربية •

اما تجربة المزرعة التعاونية فقد هيأت لى المجال الفكرى لبعث الأمل من جديد فى الاستعانة بأفكار الرومانسيين حول المزارع التعاونية والمجتمع الطبوائى •

ولا شك ان هناك تجارب للمزارع التعاونية سابقة على تجربة قرية دار السلام النوبية ولكنها باءت بالفشل ، نتيجة اعتمادها على جهود فردية وتجاهل مشاركة الجماعات المستهدفة •

والدراسة موضوع البحث تنقسم الى جزئين رئيسيين ، أولهما نظرى ، وثانيهما ميدانى •

الجزء النظرى : ويحتوى على الفصل الأول ، الذى يتناول الجذور التاريخية لمجتمع النوبة ، وعلاقته بمسيرة الحضارة المصرية • والفصل الثانى ، يتناول العوامل التى أدت الى هجرات النوبيين وتهجيرهم من أرضهم •

الجزء الميدانى : ويحتوى على الفصل الثالث ، الذى يدرس طبيعة الحياة الاجتماعية للمجتمع المحلى بقرية دار السلام

النوبية • والفصل الرابع ، يتناول المجالات النظرية
والتطبيقية ، حول المزارع التعاونية ، ثم تجربة
المزرعة التعاونية في قرية دار السلام النوبية •

وبعد ، فأننى أرجو أن يكون في هذا البحث ، ما يسهم بالافادة
في مجال العلم ، وما ينتفع به في محيط المجتمع •

والله ولى التوفيق

د • السيد حنفى عوض

• يناير ١٩٨٤

الجزء الأول

الدراسة النظرية

1950

الفصل الأول

النوبيون ومسيرة الحضارة المصرية

ينظر علماء التاريخ اليوم ، الى أهمية التطور الذى حدث فى أساليب البحث التاريخى وتطبيقاته على الشئون الانسانية ، ومن الموضوعات التى حظيت باهتمامهم ، عنايتهم بمنهج البحث التاريخى ، والتحليل النقدى لتفسير تاريخ الحياة الانسانية فى ضوء المصادر التاريخية المكتوبة التى تحتوى على قصص الأحداث • الا أن الجديد فى هذا الشأن ، أنهم تناولوا تطبيق هذا المنهج على المادة غير المكتوبة التى أحتوتها أعمال الأثريين^(١) •

وفى الحقيقة ان البحث التاريخى مازال هو الطريق الوحيد الذى يمكن من خلاله معرفة عقلية شخص ما ، أو جماعة من الجماعات ، أو عصر من العصور •

وفى ضوء هذه المعانى أستطيع القول ، أن النتائج التى أسفرت عنها الدراسات حول جماعات النوبيين حديثا ، يرجع الفضل فيها الى تعاون علماء الآثار والتشريح والأنثروبولوجيا والتاريخ ، فقد استطاعوا بتعاونهم ان يضعوا حدا للراء المتناقضة حول أصولهم ومراحل علاقاتهم بالحضارة المصرية •

ولا شك أن المعرفة التاريخية ، معرفة تحيط بما فعله العقل البشرى فى الماضى ، ثم هى فى نفس الوقت — أى المعرفة — عودة بصورة هذه الأفعال أمام الحاضر ، وقد تكون أحيانا استمرارا فى شكل

Colling, R. G., The Idea of History, Agalaxy Book, New York., (١)
1957. P. 210.

مظاهر ثقافية تعيش داخل نسيج الحياة الاجتماعية لمجتمع
الحاضر^(١) .

النوبة والنوبيون :

أطلق اسم « النوبة » على المناطق التى تقع الى الجنوب من
أسوان حتى الشلال الرابع ، ويعد هذا الاسم حديثا فى استعماله ،
لأنه لم يذكر الا فى العصور المتأخرة^(٢) .

ويذهب « ولتر ب. امري Walter B. Emery » الى تحديد معنى
« النوبة » الى أنها جاءت من كلمة « نوب - (Nub) » التى تعنى عند
المصريين القدماء كلمة « الذهب » . وكانت منطقة النوبة تعرف
عندهم ببلاد الذهب .

ومن بين الأسماء الكثيرة التى أطلقها المصريون القدماء على النوبة
« تا - كنس Ta-Kens » أى الأرض المقوسة ، أو الأرض المقدسة ،
ولم يكن هذا الاسم الا مجرد تعبيرا عاما - الا ان الاسم الأكثر
شيوعا كان تاستى - أى بلاد حاملى الأقواس - ويعد المصريون
القدماء أول من صنفوا النوبيين الى فئتين حسب مجال أقامتهم
جغرافيا ، فأصبح عندهم النوبة السفلى ، والنوبة العليا . وسكان النوبة
السفلى يطلق عليهم « واوات (Wawat) » ومنطقتهم الجغرافية بين
الجنبدل الأول والجنبدل الثانى ، أما سكان النوبة العليا فيطلق عليهم
« كوش (Kush) » وتقع منطقتهم جغرافيا جنوبى الجنبدل الثانى .
وفى ضوء ما أسفرت عنه حفائر الآثريين يمكن القول أن أهل « واوات
وكوش » كانوا من جنسين مختلفين مع أن بينهما قرابة^(٣) .

Ibid., P. 218.

(١)

(٢) عبد المنعم أبو بكر : بلاد النوبة . وزارة الثقافة والإرشاد
القومى . سلسلة المكتبة الثقافية . العدد ٥٨ . أول أبريل (١٩٦٢) .
ص ١٤ ، ١٥ .

Walter B. Emery., Egypt in Nubia, Hutchinson & Co. Publishers, (٣)
Ltd., London. 1965. P. 16.

ومع كل هذا فقد ظلت مقاطعة « الفنتين » المتاخمة لبلاد النوبة رغم أنها كانت تابعة لمصر سياسيا ، الا أن سكانها ظلوا من الجنس النوبى • وكان يطلق على الاقليم أرض « ستت أو تاستت » أى « نوبية أو مقاطعة النوبيين » وكانت هذه المقاطعة عبارة عن أسواق يتبادل فيه النوبيون منتجاتهم مع المصريين^(١) •

وفي بلاد النوبة عاشت قبائل عدة ذكرها المصريون القدماء وهى :

- ١ — قبيلة « الواوات » وتقطن حاليا حول كورسكو •
- ٢ — قبيلة « الايرث » وتقطن حاليا توماس •
- ٣ — قبيلة « ستاو » وتقطن حاليا توشكا •
- ٤ — قبيلة « ايام » وتقطن بين « أرمنة ، وبوهن » حاليا •

٥ — قبيلة « مدجاو » وهى قبيلة من قبائل الرحل التى لم تستقر فى منطقة بعينها ، وكانت تجوب مناطق النوبة السفلى والعليا • وتتنمى هذه القبائل جميعها الى الجنس الحامى ، الذى كان ينتمى اليه سكان شمال أفريقيا جميعا فى العصور الأولى •

وأهم ما يميز هذه السلالة ، القامة المتوسطة النحيلة ، والرأس المستطيل البارز من الخلف ، كما تمتاز أيضا بالأنوف والشفاه المعتدلة ، والشعر المموج ، ولون البشرة الأسمر المائل للاحمرار^(٢) •

مصر والنوبة :

لقد كانت بلاد النوبة اسهل البلاد التى يمكن الوصول اليها حتى مصر ، الا أنها لقلة خصبها لم تبلغ مرحلة متقدمة الا فى الأزمنة

(١) سليم حسن : مصر القديمة ج ٢ مطبعة كوثر . القاهرة .
(١٩٤٠) ص ٢٦٩ .
(٢) عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق . ص ١٥ ، ص ١٧ .

المتأخرة ، وتحت تأثير السيادة المصرية • وربما كان هذا سببا من أسباب التشابه بين المظاهر الحضارية بين المصريين والنوبيين في عصور فجر التاريخ •

لذلك أجد أن الدراسات الأثرية (الأركيولوجية) ، مازالت هي القادرة على تحديد الخطوط الواضحة لمسيرة كليهما عبر الحضارة •

والواضح ان الدراسات الأركيولوجية قد اعتمدت على محتويات المقابر ونماذجها ومواقعها ومميزاتها والأواني الفخارية وغيرها من الأدوات ، حيث رأت أنه لا يمكن الاعتماد على المعابد المنتشرة في بلاد النوبة لتعرضها للهدم ، وقد أكدت المقارنة على أنه لا يوجد اختلاف فيما بينها وبين مثيلاتها في المدن المصرية ، وخاصة آثار عصور ما قبل (الأسرات) ، فالمقابر ومحتوياتها ومواقعها ومميزاتها التي عثر عليها في بلاد النوبة تمثل ثقافة مشابهة تماما للثقافة المصرية التي كانت سائدة في عصور ما قبل الأسرات ، ولذلك نجد عادات دفن الموتى والحرف اليدوية مشابهة تماما لمثيلاتها التي عثر عليها في المقابر المصرية مما يؤكد أن النوبين والمصريين في العصور الأولى — عصور ما قبل الأسرات — والأسرات الثلاث الأولى سلالة واحدة ، وأن مصر وبلاد النوبة كانت تكونان منطقة سلالية وثقافية واحدة •

وقد دلت محتويات المقابر التي كشف عنها في بلاد النوبة عن حضارة مماثلة لما كشف عنه في المقابر المصرية المعاصرة وحول الأسرة الأولى فقط بدأ المصريون يسبقون جيرانهم النوبيين بخطوات سريعة للغاية (١) ، ومما لا شك فيه أنه كان للعوامل الطبيعية الأكثر صعوبة في جنوب الوادي عن شماله أثره في تخلف أولئك عن هؤلاء ،

(١) أدولف ارمان وهرمان رانكة : مصر والحياة المصرية في العصور القديمة . ترجمة ومراجعة عبد النعم بكر ومحرم كمال . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة (١٩٥٢) ص ١٧ .

ونظرا لأن النوبيين لم يدونوا أحداثهم كما أنهم لم يكونوا أسرات حاكمة فقد أضطر المؤرخون الى اتباع طريقة التأريخ حسب المظاهر الحضارية ، وقسموا العصور الى مجموعات متعددة قابلوها بالدول المصرية المعاصرة (١) . وقد تطابقت المظاهر الحضارية في مصر وببلاد النوبة في عصور فجر التاريخ ، وقد نجد في تقسيم وولتر امرى (٢) توضيحا لنواحي هامة ، نحاول أن نسترشد بها في هذه الدراسة .

المجموعة الأولى :

شهدت فترة ملوك الأسرة الأولى نشاطا كبيرا في توحيد البلاد ، وزيادة سكان النوبة ، ومع ذلك لم يستمر السلام والرخاء في هذه الفترة طويلا . ففي عصر « حور عحا — Hor Aha » أول ملوك الأسرة الأولى نجد حوليات لانتصار المصريين في الجنوب ، وهو ما تكشف عنه لوحة صخرية في جبل الشيخ سليمان جنوبي « بوهين Buhen » سجل غزو الفرعون « جر Zer » الذي أعقب « حور عحا Hor Aha » وعلى أية حال فهذه اللوحة تؤكد على وجود اعتداء مصري على أرض النوبة في عصر مبكر .

ويؤكد « وولتر امرى » ان الانتهاء المفاجيء لحضارة المجموعة الأولى قد حدث عند غزو النوبة في عصر الملك « خع سخم وى Kha sekhemui » في أواخر عصر الأسرة الثانية ، ومهما كانت الأسباب ، فقد عانى الشعب النوبى في ذلك من مشكات الفقر . كما يذهب « وولتر امرى » أيضا الى القول بأن الأخضاع الحقيقي للنوبة ، جاء مع الحملة التى أرسلها « سنفرو » آخر ملوك الأسرة الثالثة لاحتلال النوبة (٣) ، وقد اسفرت نتائجها على أسر سبعة آلاف من الأسرى وما يقرب من مائتى ألف رأس من البقر ، بالاضافة الى

(١) عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق . ص ١٨ .

Walter B. Emery., Op. Cit., P. 44.

(٢)

(٣) هناك من يذهب الى أن « سنفرو » كان أول ملوك الأسرة الرابعة .

انظر في ذلك :

Gardener A., Egypt of Pharaohs., Oxford University, London, 1976 p. 77.

سهولة استغلال ثروة البلاد المعدنية ، خاصة النحاس^(١) .

المجموعة الثانية :

وهى التى عاصرت مصر فى الفترة الممتدة من بداية الأسرة الرابعة ، وهى نهاية عصر الأسرة المباشرة ، تلك التى يعتقد « أمرى » أنه قد تم فيها الاخضاع الحقيقى لبلاد النوبة على يد الملك « سنفر » .

وتتضح هذه الحقيقة من نص سجله الفرعون « من رع » من الأسرة السادسة (٢٢٥٨ — ٢٤٢٠ ق .) عند الجندل الأول ، يكشف عن حضوره الى المنطقة ليتقبل ولاء وطاعة رؤساء قبائل « المدجاو » و « ارثت » و « واوات » التى كانت فى هذه الفترة تعيش فى المناطق الشمالية من النوبة السفلى .

كان للمصريين طوال حكم « من رع » نشاط كبير فى النوبة تحت اشراف موظفين بارعين ، راستطاعوا ان يجمعوا جنوداً من النوبة ضمت لجيوش الفرعون لمحاربة قبائل الصحراء الشرقية ، وهذا يعكس حقيقة سيطرة المصريين على النوبة الشمالية . ومن الأمور التى تكشف عن اهتمامات المصريين بالنوبة قيام « أونى » تحت حكم « بيبى الأول » ، شق خمس قنوات فى منطقة الشلال الصعبة للملاحة لتحسين طرق المواصلات مع البلاد التى تقع جنوب الجندل الأول ، والحقيقة التى تتضح حول مشروعات تحسين المواصلات كان الهدف منها ، نقل الجرانيت للهرم الملكى فى « منف » . ونقل الأخشاب من النوبة لبناء السفن .

ويذهب « امرى » الى التعليق على هذه الفترة بقوله « لم يكن وجود المصريين على أرض النوبة يأخذ شكل السلام بصفة دائمة ،

فلقد كانت هناك فترات تنتابها القلاقل ، كما يبدو من الحملة التي قادها « بيبي نخت » وقتل فيها عددا كبيرا منهم ، ثم أحضر حاكمي « واوات » و « ارثت » لتقديم فروض الولاء للفرعون « بيبي الثاني »^(١) . ومع نهاية الأسرة السادسة ، سقطت أغنى وأقوى العروش حينذاك ، ونعنى بها الدولة القديمة ، وانقطعت المصلات التجارية بين مصر والنوبة ، خلال عصر الانهيار الأول .

وفي أواخر فترة ذلك العصر وبدايات الدولة الوسطى ظهر بالنوبة السفلى شعب جديد ، أطلق عليه المجموعة الثالثة .

المجموعة الثالثة :

كانت الحدود الشمالية لهذه المجموعة هي قرية « كبانية » الى الشمال من كوم أمبو وحدودها الجنوبية عند موقع « فرص » وكانت الحرفة الأصلية لأهل تلك الحضارة هي رعى الابقار وغيرها من الحيوانات وتمتاز حضارتهم بالصناعات اليدوية وأهمها الفخار^(٢) واستعمال أنواع متعددة من أدوات الزينة منها أساور من الذهب والعاج والخرز المنظوم وظل ذلك دليل على تقدم نسبي^(٣) ، وإلى الجنوب من حضارة المجموعة الثالثة ظهرت المجموعة الحضارية المعاصرة لها والتي أطلق عليها حضارة « كرمة » نسبة لمركزها الرئيسي وهو قرية « كرمة » بالقرب من الشمال الثالث ، وانتشرت تلك الحضارة في منطقة دنقلة « صاي » و « عمرة » في الشمال ، وهي منطقة يتسع فيها السهل وتكثر فيها الخيرات الزراعية ، وأغلب الظن أن أصحاب تلك الحضارة والمنطقة المحيطة بها هم أصحاب دولة كوش فيما بعد ، وعاشت حضارتا المجموعة الثالثة وكرمة بجانب بعضهما البعض حتى دخول الهكسوس مصر .

Ibid., PP. 131, 132.

(١)

(٢) محمد ابراهيم بكر : المدخل الى تاريخ السودان القديم . المطبعة الفنية الحديثة . القاهرة (١٩٦٨) . ص ٢٦ .

(٣) عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق . ص ٢١ .

وعن أصل أصحاب الحضارتين فقد تفاوتت الآراء ، ففي حين يرى « ريزنر » أن أصحاب المجموعة الثالثة يمثلون شعبا بدويا ربما يمت بصلة قرابة لليبيين الجنوبيين ، وأن أهل « كرمة » مجموعة استوطنت البلاد ، منذ الدولة القديمة أو قبلها ، مع الاضافة بأن كليهما لم يدخل عليه الا مسحة من العنصر الزنجى ، فان «شتايندروف» يعتبر أهل كرمة ضمن طائفة شعوب شمال افريقيا مثل الليبيين ، وأن المجموعة الثالثة قد وفد أصحابها من منطقة منابع النيل الأزرق وعطبرة أو من منطقة كردفان •

ويعتبر « يونكر » كليهما من العنصر الحامى الذى اختلط بالزنج ، ويؤكد أنهما قبيلتان لشعب واحد •

ويرى « آركل » أن أصحاب المجموعة الثالثة لبييون جنوبيون^(١) وعلى أية حال فانه كما يذكر « امرى » أن أصلهم لايزال غير معروف وان كان يميل الى الاعتقاد بأنهم مهاجرون من الجنوب الغربى^(٢) للحدود المصرية •

ويذهب « بكر » الى عوامل اخضاع أصحاب حضارة المجموعة الثالثة الى أنها جاءت نتيجة للاغارات المتتالية على حدود مصر الجنوبية مما دفع ملوك الأسرة الحادية عشرة الى ارسال الحملات الحربية لتأمين الحدود واخضاع أصحاب حضارة المجموعة الثالثة ، وربما كان فى تسجيل أسماء بعض الملوك المصريين فى مناطق النوبة السفلى مثل جرف حسين ، توماس ، ، ابريم ، توشكا « توشكى » « أبو سمل » ما يفيدنا بوصول حملات الأسرة الحادية عشرة لتلك البقاع ، وكانت هذه الحملات عبارة عن حملات تأديبية للرد على اعتداءات النوبيين على القوافل التجارية المصرية وعلى عمال المحاجر المصريين^(٣) •

(١) محمد ابراهيم بكر : المرجع السابق . ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) Walter B. Emery., Op. Cit., P. 133.

(٣) محمد ابراهيم بكر : المرجع السابق . ص ٢٩ ، ٣٠ .

وهناك نقش لأحد رجال « منتوحتب الثانى » عاهل الأسرة الحادية عشرة وموحد مصر بعد عصر الانقسام الأول يتحدث فيه صاحب النقش عن قيامه بجمع جنود لجيش مصر من أبناء النوبة لبسأهموا فى الحرب ضد الآسيويين • ومن نص آخر لرجل من نفس العصر يذكر أنه : عندما سافر الملك المصرى جنوبا الى « بوهن » أثناء رحلته بحرا عبر البلاد كلها ليقبض بدو « جاتى » الذين كانوا يمنعون قطع الحجارة^(١) •

ويفهم من النبوءة التى أطلقها « أمنمحات الأول » عاهل الأسرة الثانية عشرة لاعطاء حكمه المصبغة الشرعية ، أن أمه كانت نوبية ، ويشير « بكر »^(٢) الى أن « منتوحتب الثانى » عاهل الأسرة الحادية عشرة كانت بشرته أميل للسواد •

وكانت أول مجموعة طويلة من المعارك بين ملوك الأسرة الثانية عشرة والنوبيين هى تلك التى قام بها الملك « امنمحات » سجلها لنا نقش قصير على صخرة بالقرب من كورسكو جاء فيه « السنة التاسعة والعشرون للملك امنمحات الأول » ليعيش الى الأبد ، حضرنا لنطرد « واوات » • ويبدو أن ولى عهده وشريكه فى الحكم « سنوسرت الأول » هو الذى قاد هذه الحملة • ويرى « امرى » أنه كان لهذه الحملة هدفان ، الأول توسع استعمارى بهدف استغلال الثروة الخاصة بالمناجم والمحاجر وبعض المحاصيل الجنوبية ، والثانى ضرورة ابقاء النوبة السقلى كحاجز بين مصر وكوش •

ثم كانت حملات « سنوسرت الأول » على بلاد النوبة حاسمة بالنسبة لحضارة المجموعة الثالثة وقد سجل أخبار انتصاراته فى السنة الثامنة عشرة من حكمه على لوح فى معبد « بوهن » قائد جيشه « منتوحتب »

Walter B. Emery., Op. Cit., P. 140.

(١)

(٢) محمد ابراهيم بكر : المرجع السابق . ص ٣٠ .

وقد صور الملك واقفا أمام اله الحرب « منتو » قائله « لقد أحضرت لك كل بلاد النوبة تحت قدميك أيها الاله الطيب » ثم منظر لرأس وأكتاف أسير فوق سياج بيضاوى الشكل يتوسطه اسم مدينة أو مركز مقلوب ، وقد عثر على عشرة من اسماء هذه المراكز الخاضعة لنتيجة للغزو (١) وأصبحت منطقة الجندل الثالث تحت رقابة المصريين وبدأ « سنوسرت » فى تشييد الحصون والقلاع التى بلغت حسبما عرف من بردية عثر عليها فى مقبرة بالقرب من معبد « الرمسيوم » ما بين أربعة عشرة وسبعة عشر حصنا بدأ العمل فيها منذ عصر سنوسرت الأول ولكنها أكملت من بعده ، وكان الهدف منها تأمين الحدود وتسهيل سبيل المرور والحماية لبعثات التعدين والتجار (٢) .

وعين « سنوسرت الأول » بعد انتصاره على الجنوب « سارنبوت Sarenpuwt » أمير الفنتين « حاكما ومشرفا » على النوبة وكان لقبه المراقب الأكبر للنوبة . وكان حلقة الوصل فى حكم النوبة بين « أونى » فى الدولة القديمة و « تورى » فى الدولة الحديثة .

ويبدو أن تهدة أهالى النوبة وترويضهم لم يكتمل الا فى عصر «سنوسرت الثالث» الذى قمع كل مقاومة باقية بعد حملات ناجحة أفزعت الكوشيين ، فهو الذى قام بشق قناة فى صخور الشلال الأول فكانت الى جانب قيمتها التجارية طريقا لسفنه الحربية ، وقد أقام لوحات حدوده عند بلدة «سمنة» ومن نصوصها نعلم أنها أقيمت «أى اللوحات» لمنع أى نوبى من أن يعبرها من الماء أو الأرض الا للذى سيأتى للتجارة، فسيقدم له كل شئ طيب .

ونتيجة لعظمة الأعمال العسكرية والتنظيمية التى قام بها «سنوسرت الثالث» والتى جعلت الأمن مستتباً فى النوبة فى عهد خلفائه من ملوك الأسرة الثانية عشرة فقد عبده كأحد الالهة الحامية للنوبة (٣) .

Walter B. Emery., Op. Cit., P. 142.

(١)

(٢) محمد ابراهيم بكر : نفس المرجع السابق . ص ٣١ ، ٣٢ .

Walter Emery., Op. Cit., P. 155.

(٣)

وفي عصر الأنهياري الثاني أيام الهكسوس يبدو أنه حدث تحالف بين ملوك الهكسوس ورؤساء قبائل « كوش » لوضع أمراء طيبة بين ناريين ، ويفهم ذلك من حديث الملك « كامس » الى قواده « انى أتساءل ما فائدة قوتي عندما أجد قائد الهكسوس في « تانييس » وآخر في « كوش » وأنا أجلس هنا بين آسيوى ونحسى » ، وكل منهم في حوزته ، قطعة من أرض مصر ، ويبدو أن الملك المصري اتجه بعد ذلك ليؤمن ظهره بالتحالف مع النوبيين قبل الاتجاه للشمال لحرب الهكسوس (١) .

المجموعة الرابعة :

وهى التى عاصرت زمنيأ عصر الدولة الحديثة فى مصر وتعتبر امتدادا أو تطورا لحضارة المجموعة الثالثة .

وفى هذه الفترة انضمت بلاد النوبة السفلى والعليا الى مصر وأصبحت جزءا لا يتجزأ منها ، وتأثرت هذه البلاد تماما بالثقافة المصرية وتعبدت الى الالهة المصرية وانتشرت فيها المعابد المصرية (٢) ، وكان ذلك من أهم ما يميز ملوك الدولة الحديثة ، وهو ازدياد نشاطهم المعماري فى النوبة بشكل يفوق الوصف، فكان كل منهم يشيد معبدا أو أكثر، أو على الأقل يضيف مقصورة لعبد قديم، أو نوحة تخلد انتصاراته على المتمردين هناك ، وليس هناك أجمل من ذلك المعبد الجميل الذى شيده أمنمحاتب الثالث فى « صولب » ولا يوجد أضخم من معبد أبو سمبل الذى شيده رمسيس الثانى ولا يعنى ذلك أن السلم كان الصبغة الدائمة طوال عصر الدولة الحديثة فى علاقة ملوكهم بالنوبيين بل كانت هناك بعض الاضطرابات التى دفعت تحتمس الأول لاقامة حصنا عند الشلال الثالث ، كما لو كانت فاتحة أعمال تحتمس الثانى هى اخمساد العصيان الذى قامت به القبائل النوبية عند الشلال الثالث (٣) .

Ibid., p. 170.

(١)

(٢) عبد المنعم أبو بكر : مرجع سابق . ص ٢٢ .

(٣) سليم حسن : المرجع السابق . ج ٤ (١٩٤٧) ص ٢٩٥ — ٢٩٦

كما أن هناك أدلة على أن « تحتمس الأول » قد قام ببناء سلسلة حصون في «تومبوس» وعلى جزيرة ساي وكذلك أعاد بناء بعض حصون الدولة الوسطى ووسع فيها ، كما أنه نظف القناة التي كان قد شيدها سلفه « سنوسرت الثالث »^(١) على أن أهم ما يميز تلك الفترة أنها كانت أهدأ من الفترات السابقة نتيجة النظام الإداري الذي اتبعه ملوك الدولة الحديثة ، فقد عينوا حاكما للنوبة أطلق عليه لقب ابن الملك ، فكان بمثابة نائب فرعون ، وأغلب الظن أن هذه الوظيفة أنشئت في عهد « أمنمحاتب الأول » وبقيت حتى عهد الأسرة الحادية والعشرين . وكانت الألقاب الرئيسية للحاكم المصري في النوبة أولا ابن الملك ثم ابن الملك صاحب كوش فالمشرف على الأراضي الجنوبية بالإضافة الى بعض الألقاب التي لم تكن وقفها عليه مثل : حامل المروحة ، الأمير الموراثي ، حامل الختم ، السмир الوحيد . الخ من الألقاب الشرقية ، ومعظم الحكام كانوا من الذين تفرغوا في خدمة الفرعون الشخصية وكان أول من تولى هذه المهمة رجل يدعى « توري » ولم يكن لنائب الملك أى سلطة حربية بل كانت السلطة الحربية موكلة لرئيس رماة كوش الذي كان تحت إدارة نائب الملك مباشرة ، لذلك كان أهم ما يرمى اليه الملك في اختياره لنائبه أن يكون اداريا حازما يمكنه جمع الضرائب وإدارة المرافق ، لذلك كان يختاره من أقرب المقربين اليه ممن اشتهروا بالذكاء والاخلاص في العمل فلا يدس الدسائس ولا يرهق القوم بالضرائب الباهظة لذلك كان الملك يعينه بنفسه ولم تكن الوظيفة وراثية بل كانت بالتعيين^(٢) .

Walter B. Emery., Op. Cit., P. 175.

(١)

(٢) سليم حسن : المرجع السابق . ج ٥ (١٩٤٨) . ص ١٦٥ ، ١٧٦

تمصير النوبة :

تمصرت النوبة تمصيرا كاملا سواء سياسيا كما ذكرنا أو ثقافيا واجتماعيا ، من هذه الفترة حتى أصبحت الثقافة المصرية هي المثل الأعلى للنوبيين فأصبحت المقابر عصرية الشكل والتصميم ، فمن مقابر صخرية ، لمقابر على شكل أهرام صغيرة كالتي عرفت في دير المدينة ، كما عثر في المقابر على تواييت وتماثيل صغيرة مثل التي وجدت في المقابر ، وكان الغرض من هذه التماثيل أن تقوم بالخدمة في حقول « أوزير » (*) في العالم الآخر بدلا من المتوفى لذلك كانت توضع بعدد أيام السنة ٣٦٥ تمثال كما عثر على جعارين وتماثيل وأوان مصرية في المقابر النوبية ، وكذلك أصبحت المراكز الحضارية مثل « غنية » و « بوهن » تشبه في مظهرها الى حد كبير ، المدائن المصرية .

كما أنهم أخذوا لأنفسهم ولأولادهم أسماء مصرية ، وقد عثر في المقابر على الكثير من السلع المصرية المنتشرة في تلك الفترة والتي جلبها اليهم التجار المصريون الذين شاركوا في نقل الحضارة كما ساعدت المعابد المصرية على ازدياد رقعة عبادة الالهة المصرية ، فأصبحت « كوش » مثل « طيبة » مركزا لمعبود الدولة « آمون رع » كما قدس الملوك المصريون ، وفي مقدمتهم « سنوسرت الأول ، وسنوسرت الثالث » ، وكذلك « تحتمس الثالث » « وأمنوتب الثالث ، وثوت عنخ آمون » ، ورمسيس الثالث « وأمنوتب الثالث ، وثوت عنخ آمون » ، « ورمسيس الثاني » ، واعتبروا جميعا جراسا للبلاد (١) .

حكم النوبيون لمصر :

استمر الحال هكذا حتى ظهرت أسرة قوية من الأمراء النوبيين انتهزت فرصة القلاقل والنزاع الذي انتشر في مصر منذ القرن التاسع

(*) أوزير : اله الموتى عند المصريين القدماء . وكان كل مصري من فقير وغنى ، وحاكم ومحكوم ، يعتقد أنه سيتمتع بنعيم الآخرة في رحابه .
(١) محمد إبراهيم بكر : المرجع السابق . ص ٣٩ ، ٤٥ .

ق. م. وكانت البلاد اذ ذاك قد انقسمت الى مملكتين : احدهما في الدلتا ، والأخرى في مصر العليا ، انتهزت هذه الأسرة حالة التدهور السياسى في مصر وقبضت بيد من حديد على جميع مناطق بلاد النوبة ثم أخذت ترنو بأبصارها نحو الشمال وعملوا جاهدين على تحقيق حلمهم في الاستيلاء على عرش الفراعنة واستطاع « بعنشى » أحد أفراد هذه الأسرة أن يحقق الحلم وكون الأسرة الخامسة والعشرين من التاريخ المصرى (١) تلك الأسرة التى اختلف العلماء حول أصلها فمنهم من يرى أن أصلها مصرى أو ليبي أو نوبى والذين يرون أنها من أصل مصرى يعتقدون أنهم أنفسهم كهنة الأسرة الحادية والعشرين الذين هاجروا الى النوبة ثم عادوا اليها حكاما للأسرة الخامسة والعشرين ويعتمدون في ذلك على الطابع المصرى لحضارة تلك الأسرة وتمسكهم بعقيدة آمون وهى الديانة الرسمية لمصر القديمة بالإضافة الى اسم عاهلها المصرى الصميم « بعنشى » والذي سبق استعماله في الأسرة الحادية والعشرين .

ويرفض « بكر » كل ذلك فهو يرى في التأثير الحضارى أنه نتيجة طبيعية لطول استيطان الحضارة المصرية في النوبة كما أنه لم يكن من بين أسماء ملوك هذا البيت سوى اسمين مصريين فقط هما « بعنشى » و « حورسيوتف » ، وعن ارتباط هذه الأسرة « بآمون » كما أسلفنا الذكر كان له دوره الكبير، وبنييت له العديد من المعابد على امتداد أنحاء النوبة، ومن كل ذلك يرى « بكر » أن أصل هذه الأسرة نوبى وليس مصرى (٢) . ولكن دولة آشور الفتية استطاعت طرد الملك « طهارقا » الذى هرب من طيبة الى عاصمته الجنوبية « نباتا » وبعد وفاته ، تولى ابنه « تانوت آمون » الحكم واستطاع أن يكسب الجولة الأولى في معركته مع آشور ، الا أن الجولة الثانية كلفته خروج النوبيين من مصر والاستقرار في « نباتا » وبسطوا نفوذهم على النوبة السفلى لفترة تزيد عن ثلاثة قرون (٣) . واستمروا يحملون ألقاب فراعنة مصر التقليدية في ذلك

(١) عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق . ص ٢٣ .

(٢) محمد ابراهيم بكر : المرجع السابق . ص ٦٤ — ٧٥ .

(٣) عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق . ص ٢٤ .

الوقت الذى تكونت فيه فى مصر الاسرة السادسة والعشرين وقام الملك « بسامتيك الثانى » بأكثر من غارة ضدّهم باحتلاله « نباتا » وانتقلت عاصمة النوبيين السياسية الى « مروى » ما بين الشلالين الخامس والسادس وبقيت « نباتا » كعاصمة دينية ، تلاشت مكانتها مع أفول التأثير القوى لكهنة آمون •

وبعد أن هزم « قمبيز » الملك المصرى « بسامتيك الثالث » فى « بلوزيوم » ، أصبحت مصر اقليما فارسيا سنة ٥٢٥ ق. م. ثم اتجه الغازى نحو النوبة ولكن جيش « قمبيز » عاد مهزوما هزيمة منكرة ، وتقهقرت الحضارة المصرية الى « مروى » وحل محلها حضارة غير أصيلة سميت بأسم العاصمة الجديدة « مروى » • ومع أن التأثير المصرى الدينى والفنى كان الغالب على هذه الحضارة ، الا أن التأثير الاغريقى والأفريقى كانا لهما مكانة أكبر ، فالكتابة الهيروغليفية تغيرت أشكالها بالتدريج حتى أصبحت الهيروغليفية المروية بخط مختصر ، وانتعشت الدولة المروية وتحررت من التدخل الأجنبى ونمت وسيطر حكامها على شمال السودان كله ، وبالتدريج سيطرت على النوبة العليا ، ومن النوبة السفلى نمت مستعمرة مروية فى هدوء وسلام ، وبقي الحال طيبا حتى وفاة كليوباترا وأصبحت مصر ولاية رومانية (١) •

المجموعة الرومانية :

وهى التى تعاصر حكم الرومان لمصر فى ذلك العصر قام أهل الصعيد بثورات جامحة مطالبين باجلاء المستعمر الغاشم وقد ساند النوبيون اخوانهم المصريين فى معظم هذه الثورات وفى عصر الامبراطور أغسطس قام الحاكم الرومانى باخماد ثورة الطيبين ثم زحف للنوبة لمحاقبة أهلها ولكنه لم ينجح فى ذلك وعاد وتركهم متمتعين باستقلالهم مع الاعتراف بالسيادة الاسمية فقط للرومان •

ثم قام النوبيون بعدها بمهاجمة صعيد مصر وتغلبوا على الحامية الرومانية ونهبوا جزيرة أنس الموجود وجزيرة «الفنتين» و«مدينة أسوان» . ولكن سرعان ما استعد الرومان وردوا على هذه الثورات وخرجوا لملاقاة الجيش النوبى عند «الدكة» وهزموه ثم تعقبوه وحاصروه فى قلعة « قصر ابريم » واستولوا عليها ، وبعدها دخلوا العاصمة القديمة « نباتا » ودمروا ونهبوا كنوزها ، وبعد عامين تقدم النوبيون للثأر ، ولكنهم اضطروا لقبول الصلح مع الرومان أمام ضعفهم ، وكان الصلح شرفا لهم ، لأنه أعفاهم من دفع الجزية للرومان .

واستقر السلم فترة طويلة فى المنطقة وقام الرومان بتشييد المعاقل والحصون التى لا تزال آثارها باقية فى الدكة ، كلابشة ، قرطاسة وأبو در الى أن ظهر شعب جديد هو شعب اليلى الذى تمكن من القضاء على الرومان قضاء نهائيا بصفة عامة ومن النوبة ومصر بصفة خاصة بعد جولات عديدة من الضرب والصد وبنهاية عصر الرومان دخلت المسيحية بلاد النوبة فى منتصف القرن السادس الميلادى وهذا ما أطلق عليه امرى اسم العصر البيزنطى (١) .

العصر البيزنطى :

وعندما أخذت الأحوال سبيلها الى الاستقرار فى منتصف القرن السادس انتشرت المسيحية وهنا تحولت معظم المعابد الفرعونية الى كنائس وكان فى مقدمتها جميعا معبد « ايزيس » الذى افتتحه رئيس مطارنة اسوان عام ٥٧٧ م وتكونت مملكة مسيحية نوبية (٢) كانت عاصمتها بلدة «فرص» أو «فرس» ، ثم انتقلت الى عاصمة جديدة وهى بلدة « دنقلة » وامتدت المملكة المسيحية الى جزيرة « مروى » وتكونت

(١) عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق . ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٠ .

(٢) نفس المرجع السابق : ص ٣٠ .

مملكة « علوه » وكانت عاصمتها « سوبه »^(١) . وبذلك كان للنوبة في عهد المسيحية مملكتان :

الأولى : مملكة النوبة السفلى من الشلال الأول الى الشلال الرابع ، وعاصمتها دنقلة العجوز .

الثانية : مملكة النوبة العليا من الشلال الرابع الى أعلى جزيرة سنار وعاصمتها « سوبه » على النيل الأزرق على بعد خمسة عشر ميلا من الخرطوم . وقام رجال الكنيسة بترجمة بعض أجزاء من الكتاب المقدس الى اللغة النوبية ، وعظم الاتصال بين مطارنة النوبة ، ومطارنة الاسكندرية ، مثلما كان الحال مع مطارنة الحبشة^(٢) .

هذا وقد ظلت المملكتان المسيحيتان قائمتين حتى سقطت « دنقلة » و « سوبه » في يد العرب في عهد السلطان قلاوون .

الفتح العربى لبلاد النوبة :

كان المسائد أن حملة « قلاوون » التى تمت عام ١٣١٨ م قد قضت نهائيا على المسيحيين فى بلاد النوبة السفلى الا أنه فى عام ٦٣ ، ١٩٦٤ تم ازالة الرمال بقلعة قصر ابريم عن مقبرة لاسقف عاش فى القرن الرابع عشر لم تمتد اليها يد ، قبل كشفها . وقد عثر بين ملابسه على لفافتين طول كل منهما ستة عشر قدما كتبت احدهما باللغة القبطية وهى اعلان رسمى ببتصيب هذا الرجل فى القاهرة القديمة أسقفا على فرس وايريم فى بلاد النوبة ، أما اللفافة الثانية فهى نسخة منها باللغة العربية . وتاريخ هذين القرطاسين يرجع الى سنة ١٣٧٢م ولكن الأرجح

(١) محمد عوض : السودان الشمالى سكانه وقبائله . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . (١٩٥٦) . ص ٢٩٦ ، ٢٩٨ .
(٢) صدقى ربيع : النوبة بين القديم والجديد . الدار القومية للطباعة والنشر . (بدون تاريخ نشر) . ص ٣١ — ٣٢ .

أن المسيحية أخذت تزول رويدا رويدا بعد أن خير السكان بين دفع الجزية أو التحول الى الاسلام .

والحقيقة أنه لا توجد معلومات واضحة عن مركز المسيحية في النوبة منذ القرون الوسطى ولكن الثابت أن الاسلام أخذ يسير رويدا رويدا . ولقد كان من الواضح أن المسيحية قد انتشرت بين الطبقة الحاكمة في النوبة وسكان الحضر وحدهم ولم يعتنقها أهل البادية وكان قساوستها وكتبها ولغتها تصل اليها من الخارج ، لذلك لم يجد أهل النوبة من يرشدهم الى أمور دينهم حينما سقطت مصر في يد المسلمين ، وانقطعت الصلة بينهم وبين مصر ، ولما سقطت دنقلة العجوز في يد العرب واعتنق ملوكها الاسلام ، كان ذلك نهاية الدين المسيحي كدين رسمي في النوبة ، وبمرور الزمن أخذت المسيحية تتلاشى (١) .

ولما فتح العرب مصر حوالى ٦٤٠ كان عليهم أن يؤمنوا مراكزهم فيها من الناحية الجنوبية ، فجعل عمرو بن العاص يرسل كتائب الفرسان تقتحم على النوبيين أرضهم دون الاهتمام باستيلاء على النوبة ، وبعد احدى عشرة سنة حدث تمرد في النوبة فذهبت اليه حملة ضخمة بقيادة عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، عندما تولى أمر مصر وسارت أربعين ليلة من أسوان حتى بلغت «دنقلة» العجوز وحاصرتها وخربتها بالمقاليع وهدمت كنيساتها ، وكان النوبيون محاربون أشداء يجيدون إطلاق السهام التي كانت تنهمر على العرب ، فتدمى أجسامهم وتفقأ عيونهم .

وطلب ملك النوبة « قلدس » الصلح فعقد العرب معه صلحا وشيدوا خارج دنقلة مسجدا يسجل دخولهم هناك وجعلوا الاعتداء عليه سببا من أسباب نقض الهدنة ، وقد أطلق العرب على النوبة اسم «رماة الحدق» .

(١) نفس المرجع السابق . ص ٢٢ .

ويجدر الإشارة الى تلك المعاهدة التي تناولت نصوصها ما يلي :

« يا أهل النوبة سوف تعيشون في أمان في ظل العناية الالهية ، ورعاية الرسول محمد ، وللعناية من كلا الطرفين حق عبور الحدود على ألا يكون قصدهم الإقامة ، وعلى الجانب الذى يعبرون اليه حمايتهم • وعلى النوبيين أن يحافظوا على المسجد الذى بنى في مدينتهم وليس عليهم أن يعتنقوا الاسلام مرغمين • واذا انتهكتم شروط المعاهدة فسوف نعود الى العدوان حتى يحكم الله بيننا وبينكم ، وهو خير الحاكمين » •

وقد أقسم المسلمون على المحافظة على شروط المعاهدة باسم الله ورسوله وطلبوا من النوبيين أن يقسموا على كل ما يعتبرونه لديهم مقدسا وبالمسيح وبحواريه •

ومن الأشياء الجديرة بالذكر ، أن النوبيين لم يعتنقوا الاسلام عند زحف الجيوش الاسلامية ، بل ظلوا على دينهم حتى القرن الخامس عشر (١) •

وفي أثناء هذه الفترة دخلت بعض بطون من قبيلة ربيعة ، وقبيلة جهينة ، المنطقة النوبية ، وانتشرت في الاقليم الشمالى ، ويضيف « ابن خلدون » لتاريخ تلك المرحلة بقوله «ثم انتشرت أحياء العرب من جهينة في بلادهم واستوطنوا وملكوها وملأوها عبثا وفسادا وذهب ملوك النوبة الى موافقتهم فعجزوا، ثم ساروا الى مصانعتهم بالمصاهرة فافتر ملكهم ، وصار لبعض أبناء جهينة من أمهاتهم، على عادة الاعاجم في تمليك الاخت وابن الاخت ، فتمزق ملكهم، واستولى اعراب جهينة على بلادهم، ولم يبق لبلادهم رسم للملك ، لما صبغته البداوة العربية من صبغتهم بالخلطة والالتحام (٢) •

(١) نفس المرجع السابق . ص ٣٥ ، ٣٦ .
(٢) ابن خلدون : كتاب العبر . القسم الاول . المجلد السادس منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر . (١٩٦٨) . ص ٩٢١ .

لقد حدث الاندماج بين هذه القبائل وخاصة قبيلة « بنى كنز »
التي كانت أكبر القبائل وأقواها ، وبين النوبيين في قرى هذا الاقليم
عن طريق المصاهرة ، فانتشرت اللغة العربية • هذا وقد قدم «بنو كنز»
في الأصل من صحارى نجد حين انتشرت القبائل العربية القادمة من
المشرق ، وهناك قبائل أخرى مثل قبائل الجوابرة والبغدادية انتشرت في
المنطقة من الجندل الأول الى الجندل الثاني •

وقد دخلت الى المنطقة الوسطى في القرن الثامن عشر بعض
الجماعات من قبيلة عرب «العليقات» وعرفت باسم «وادي العرب» ،
وكانت هذه الجماعات أصلا من الحجاز وهاجرت الى شبه جزيرة سيناء
ثم انتقلت الى النوبة واشتغل معظم أفرادها في نقل التجارة السودانية
بين الشلال الاول والشلال الثاني كما كانوا يشتغلون في تجارة الرقيق ،
وقد تركوا الرعى واستقروا في المنطقة الوسطى عندما أهمل درب
الاربعيني واستخدم النيل كطريق للمواصلات • وقد استقروا في هذه
المنطقة لقربها من «كروسكو» التي كانت ملتقى للقوافل، وبعد استقرارهم
في المنطقة ، انتشروا فيها ، فتكونت القرى العربية الأخرى (١) •

وهناك من يقول أن التأثير العربى من الناحية السلافية في النوبة
طفيف لانه ليس من السهل ادراك كيف يؤدي استقرار بعض أفراد من
القبائل العربية في مختلف البلاد النوبية الى تحرير أو تعديل في المميزات
الفيزيائية للجماعات النوبية (٢) •

الهجرات الى بلاد النوبة من الصحراء الغربية والشرقية :

لقد هاجرت الى بلاد النوبة من الصحراء الغربية والشرقية
جماعات من الصحراء الليبية الى داخل المنطقة النوبية واستقرت في

(١) على زين العابدين : فن صباغة الحلى الشعبية النوبية . الهيئة
المصرية العامة للكتاب . القاهرة . (١٩٨١) ص ٣٦ .
(٢) نفس المرجع السابق . ص ٣٦ .

غالبية قرى القسم الجنوبى وفى قرية عربية واحدة هى « شاترمه » ،
أما الباقيون ، فيستقر معظمهم فى قريتى « توماس » و « عافية » وهما
من قرى النوبيين « الفانديجا » •

كما استقرت بعض الجماعات من العباددة والبشارية (من البجة)
الذين يقطنون الصحراء الشرقية فى القرى النوبية ، وقد اندمج
بعضهم مع سكان القرى وصاهروهم ، وقد هجروا الرعى واعتمدوا
على الزراعة وتربية الماشية مثل النوبيين ، وهناك العباددة الذين
يعيشون فى نجوع خاصة بهم كما هو الحال فى قريتى « المحرقة » و
« السيالة » كما ان هناك « العباددة » نسبة المستقرين الذين يعتمدون على
الزراعة بالمشاركة مع النوبيين وتأجير العمال ابناء الصعيد لزراعة
الأرض لتوفير الاعلاف لحيواناتهم فى فصل الخريف والصيد ، الى
جانب الانتقال الى مناطق الرعى داخل موطنهم الأصلى فى
الصحراء الشرقية فى الشتاء والربيع ، ويقيم هؤلاء العباددة فى نجوع
خاصة فى ماريا والعلاقي وقرية الدكة •

وهناك الرعاة من « العباددة » الذين يترددون على مناطق معينة
بالقرب من النجوع التى استقر فيها أقاربهم كما هو الحال فى القرى
الواقعة بين « كروسكو » و « أدندان » •

واستقرار بعض العباددة ، والبشارية ، وترددهم على القرى
النوبية ، ومجاورتهم للنوبيين فى الصحراء الشرقية ، منذ أقدم العصور ،
قد جعل هناك مجالا للالتقاء الفكرى ، والثقافى ، وقرب بينهما الأمر ،
الذى ينعكس أثره على كثير من العادات والتقاليد (١) •

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٣٧ •

الأتراك (الكشاف) في النوبة :

حدث امتزاج طفيف آخر في بلاد النوبة عندما كانت مصر وبلاد النوبة خاضعة للحكم العثماني منذ عام ١٥١٧م . فقد ارسل سليم الأول سرية من الجنود الأتراك عام ١٥٢٠ الى بلاد النوبة وذلك لحراسة الحدود الجنوبية لمصر، ونزلوا في «أسوان» و «أبريم» . ولكنهم لم يلتزموا قرية «أبريم»، وانما انتشروا في قرى الأقليم الجنوبي الممتد من قرية «الديوان» الى قرية «أدندان» لانتساع الرقعة الزراعية فيه عن القرى الشمالية من ناحية ، ومقاومة القبائل الكنزية لهم من جهة أخرى . وقد أطلق عليهم النوبيون « الكشاف » وتعنى الحكام . وانتقلت هذه التسمية الى أحفادهم أفراد القبائل التي تكونت والتي تحمل اسماءهم وقد صاهر هؤلاء الحكام والجنود القبائل النوبية .

وهناك بعض القبائل التي تدل اسمائها على الموطن الأصلي لكل مؤسسيتها ، ففي « عنبية وقتة وأبريم وتوماس » يقيم أفراد قبيلة «المجرب» ، حيث جاء جدهم من «المجر» ، وكان من جنود سليم الأول . وبالمثل قبيلة « ابذر حاناب » التي تنتشر في « أبى سنبل والديوان والمدر وتنفالة وتوماس » ، وقبيلة «كوردياب» . وهناك من القبائل التي تدل اسمائها على الرتب العسكرية لمؤسسيتها في الجيش التركي مثل قبيلة « القائم مقامات » وقبيلة « الشاويشاب » . ويشير الرحالة في القرن التاسع عشر وفي كتاباتهم الى الأصول الكردية ، والبلقانية — مثل الألبان وغيرهم — لتلك القبائل وان أفرادها يفتخرون بتلك الأصول ويمتاز أفراد هذه القبائل « الكشاف » بالبشرة الاخف سوادا عن النوبيين (١) . والواقع أن انحدرهم من هذا السلف كفيل بأن يضيف عليهم منزلة ومكانة اجتماعيين ، فأسلاف القبائل « الكشاف » كانوا حكام

(١) نفس المرجع السابق . ص ٣٧ - ٣٩ .

البلاد ، يرتبطون بنسب القبائل النوبية ، وبالتالي ينظرون الى أنفسهم بأنهم أعلى مكانة من الكنوز والعرب •

وفيما يختص بالعوامل الاقتصادية ، فقد كانت الظروف الاقتصادية في قرى النوبيين أفضل بكثير من ظروف الكنوز والعرب ، لاتساع الرقعة الزراعية في تلك القرى عن قرى الآخرين ، الأمر الذي أدى الى ان يتمتع النوبيون بمستوى معيشة أفضل بكثير مما كان عليه العرب والكنوز •

وبعكس استخدام تسميات الجماعات الثلاث في اللغة الدارجة ، فهناك ما يثيره أفراد كل جماعة منها حول علو وسمو مكانتهم عن أفراد الجماعتين الآخرين، على الرغم من اختلاف مدلولات الأسماء عن معانيها الحقيقية فيعرف « الكنوز » باسم « الماتوكيين » ، وتعنى الوافدين من الشرق ، في حين يطلقها « النوبيون » عليهم احتقارا لهم حيث يعنون من استخدام هذه التسمية للكنوز الذين يتجولون في قرى النوبيين يلتقطون ما تبقى من محصول البلح وتنظيفه من الاعشاب بعد جمع النوبيين للمحصول ، وكان بعض « الكنوز » يتجولون في تلك القرى ويقيمون لبضعة أيام في كل قرية بالقرب من مساكن الأهالي ، ويقومون بتقديم بعض الخدمات وبعض السلع للأهالي ، أضفى ذلك على الكنوز ضعف المكانة الاجتماعية في نظر النوبيين •

أما العرب فيعرفون « بالعقيلات » إشارة الى عقيل بن على بن أبى طالب الذى ينتسبون اليه ويحملون اسمه ، ويستخدم الكنوز والنوبيون كلمة « العقيلات » عند الإشارة للعرب لكى تعنى المتجولين في القرى لقص صوف الأغنام والحصول على الصوف مقابل العمل ، وقد التصق هذا العمل بالعبيد في الماضى الذين كانوا لدى النوبيين والكنوز •

ويعنى ذلك ان أقبال العرب على مثل هذا العمل في الماضى قد أضفى عليهم المنزلة والمكانة الاجتماعيين اللتين يرتبط بهما العمل ،

يضاف الى ذلك ان الكنوز والنوبيين يعتبرون عرب « العقيلات » اغرابا عن مجتمعهم ، وليسوا من سكان بلاد النوبة •

ويطلق الكنوز والعرب على النوبيين « الفاتديجا » للاشارة الى النوبيين الهاربين من الجنوب ، الاغراب عن المجتمع النوبى والذين ينتمون الى الأصول السودانية « جنوب السودان » (١) •

الواقع ان استخدام الكنوز والعرب والنوبيين لهذه التسميات الثلاثة فى الاشارة الى بعضهم البعض ، كان فيما مضى يتضمن التقليل والدونية وضعف المكانة الاجتماعية لأفراد الجماعتين بالنسبة لأفراد الجماعة الأخرى •

ولقد أسفرت شواهد « الباحث » فى دراسته الميدانية أن أغلب شيوخ « الفاتديجا » « والكنوز » ممن تسنى مقابلتهم ، أنهم لا يهتمون بفروق المكانة بين الجماعتين ، بل ان كل ما يذكروه عن أنسابهم أصبح من الموضوعات الهامشية فى حياتهم ، فمن بين شيوخ « الكنوز » من يذكر أنه ينتسب الى السلف الصالح من المسلمين دون أن يحدد أحدهم ، ومن بين شيوخ « الفاتديجا » ما يعتقد أن جذور انسابهم يمتد الى الأتراك أو الأكراد أو المجريين ، دون تحديد ، ولكنهم يؤكدون فى النهاية — أى الفاتديجا — أنهم من أصل فرعونى •

(١) نفس المرجع السابق . ص ٤٩ ، ٥٠ •

الفصل الثاني

النوبيون بين الهجرة والتهجير

يتناول علماء العلوم الاجتماعية مصطلح الهجرة Migration للتعبير عن تحركات الأفراد والجماعات من منطقة جغرافية الى منطقة جغرافية أخرى بقصد الإقامة الدائمة^(١) .

والهجرة من وجهة نظر الديموجرافيين تعنى التغيير الدائم في محل الإقامة ، ويعرف الانتقال عبر الحدود الدولية عادة بالهجرة الخارجية للتمييز بينها وبين الهجرة الداخلية التي تحدث داخل حدود الوطن .

وتعرف الهجرة من الدول الى خارجها بالنزوح Emigration ويختلف الاصطلاح في اللغة الانجليزية في حالة الهجرة الداخلية ، اذ يطلق عليها Out-migration و In-migration على التوالي^(٢) .

أما عن دوافع الهجرة فيقسمها البعض الى عاملين أولهما الهجرة الجاذبة أو الارادية ، وثانيهما الهجرة الطاردة أو القاهرة .

فالعوامل الجاذبة أو الارادية تعنى القرار لشخص في الهجرة دون تدخل من أى جهة أو سلطة ، أى أن القرار نابع من ارادة النسان ذاته .

ونعنى بالعوامل الطاردة أو القهرية ، رضوخ الانسان الى قرار فرضته طبيعة الظروف للهجرة ، وترتبط هذه الظروف بأسباب عسكرية أو اضطهاد ديني أو سياسى أو ظروف اقتصادية أو عوامل طبيعية .. الخ^(٣) وعلى سبيل المثال فقد أدى الزحف الألماني على

(١) David Popenoe., Sociology, Englewood Cliffs, N.J., 1980. P. 478.

(٢) دنيس هـ. رونج : علم السكان . ترجمة محمد صبحى عبد الحكيم . مكتبة مصر بالنجالة . (١٩٦٧) ص ١٢٦ .

(٣) نفس المرجع السابق . ص ١٣٢ .

أوروبا الشرقية في فترة الحرب العالمية الثانية الى تهجير مدن بأكملها الى أماكن أخرى • وفي مواجهة العدوان الاسرائيلي على مصر عام ١٩٦٧ تم تهجير مدن القناة الى باقى المحافظات •

أما ما يتصل بالاضطهاد الدينى وأثره في الهجرة فنجد مظاهره في اضطهاد النازيين لليهود في شرق أوروبا في فترة الثلاثينيات وهجراتهم الى مدن الشرق الأوسط ، ثم قيام هؤلاء — أى اليهود — بممارسة الارهاب ضد عناصر السكان الأصليين من العرب في فلسطين وطردهم ، مما أدى الى هجرات أغلبهم الى باقى الدول العربية •

وفيما يتصل بالهجرة نتيجة العوامل الاقتصادية ، فنجد لها على سبيل المثال ، نموذجا ، يتمثل في ظروف القحط التى تعرضت له ايرلندا فى الأربعينيات ، والتى أطلق عليها مجاعة البطاطس ، مما أدى الى هجرات جماعية الى الولايات المتحدة الأمريكية •

بعد ذلك نجد نموذجا آخر للتهجير يرتبط باستغلال أراضي معينة للمشروعات العامة للدولة ، تتولى فيها الدولة تهجير سكانها تحت اشراف أجهزتها كما حدث للنوبيين عام ١٩٦٣ قبل البدء في مشروع السد العالي • واختيرت منطقة « كوم أمبو » لسكانهم للتقارب بين مناخها ومناخ منطقة النوبة وتوافر الأرض المناسبة للزراعة •

الهجرة وفكرة دار السلام :

كان من نتائج قيام الدولة بالتوسع في مشروعات الري خلال الفترة عام ١٩٠٢ الى عام ١٩٣٣ • أن تعرض أهالى بلاد النوبة لمرات عديدة للهجرة ، أولها عند بناء خزان أسوان في الفترة ما بين ١٨٩٨ ، ١٩٠٢ ، ليرتفع منسوب المياه أمام الخزان الى ١٠٦ مترا مغرقا

تحت مياهه بعض الأراضى الزراعية من موقعه حتى قرب « الدكة »
مما أدى الى زحف أهالى النوبة من مقرهم القديم الى المرتفعات .

والمرّة الثانية عند اجراء التعلية الأولى لخزان أسوان فى الفترة
ما بين ١٩٠٧ ، ١٩١٢ حيث أرتفع منسوب المياه أمام الخزان الى
١١٣٩ مترا مما أدى الى هجرة بعض الأهالى الى أسوان فى الشمال
وباقى قرى النوبة فى الجنوب وكانت هذه الهجرات متمثلة فى حالات
فردية ، كما أن بعض الأهالى فضلوا البقاء على أرض قراهم
وزحفوا بمساكنهم الى المناطق المرتفعة . والمرّة الثالثة فى أعقاب
التعلية الثالثة فى الفترة ما بين ١٩٢٩ ، ١٩٣٣ ، حينما تجاوز منسوب
المياه ١٢١ مترا فغمر بعض أراضى المنطقة وخفض مساحة الأرض
المزروعة مما أدى الى صدور القانون رقم ٦ لسنة ١٩٣٣ الخاص
بنزع ملكية وتعويض نواحى الشلال ، ودابود ، ودهميت بمركز
أسوان ونواحى الامبركاب وكلابشة وأبوهور ومروا وقورته وماريا
وجرف حسين وكشتمنة والدكة والعلاقى وقرشة وسيالة والمضيق ووادى
العرب وشانزیه والمالكي والسنقارى وكروسكو وأبو حنضل والريقة
والديوان وتنقالة وقتة وأبريم وجزيرة أبريم وتوماس وعافية وعينية
والجنينة والشباك ومصمص وتوشكى غرب وتوشكى شرق وأرمنيا
وأبوسنبل وبلانة وقسطل وأدندان بمركز دراد^(١) .

ويحكى « الحاج طه محمد » أحد شيوخ قرية دار السلام
النوبية عن هذه الفترة ، أن عرضا جاءهم من مستر « جريفس »
وكيل حكومة السودان فى هذه الفترة ، بأن يهاجروا الى جزيرة
« أبأ » فى السودان مقابل أن تستصلحها الحكومة لهم ، وتوفر
المساكن الملائمة لاقامتهم ، فاستجاب قلة منهم ، وهاجروا الى
السودان ، وبقي النوبيون مرتبطين بأرض مصر ، ومنهم من هاجر الى

(١) وزارة الشؤون الاجتماعية . تقرير منشور بعنوان : تهجير النوبة ،
١٨ كنوز (١٩٦٣ — ٣ يونيو ١٩٦٤) .

عواصم المحافظات سعيا وراء الرزق من خلال مشروعات تجارية ،
ومنهم من اشترى أرضا زراعية في صعيد مصر لزراعتها • وهناك من
فضل العمل التعاوني على النشاط الفردي •

أما هؤلاء الذين فضلوا العمل التعاوني فيما بينهم ، فهم أهالي
قرى أبو هور وأبو حنضل والديوان وتنقالة • فبقيمة التعويضات
استطاعوا أن يشتروا حوالي ١٠٠٠ فدان من شركة كوم أمبو بالقرب
من « دراو » بهدف استصلاحها وأقامة مساكنهم على جزء منها •
وحينما أرادوا اختيار اسما لقريتهم ، استعانوا بكتاب الله •
وكانت أول آية تقع عليها أنظارهم ، قوله تعالى : والله يدعوا الى
دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم « وتيمنا بهذه الآية
أطلقوا على قريتهم ، اسم دار السلام النوبية •

الجزء الثاني

الدراسة الميدانية

مدخل للدراسة الميدانية :

ان المجتمع الذى يستطيع أن يتخطى كل المشكلات الاجتماعية ، ويتحدى العوامل الطبيعية فى باطن أرضه ، ثم يحول نفس الأرض مصدرا لرخائه ، ويصمد لتحدى لآفات التى أكلت جذران بيته ليجعل من انقاضها سبيلا الى سكن تشيع فيه الحياة والرفاهية ، مثل هذا المجتمع لجدير بالاهتمام العلمى مهما كانت الصعوبات التى تواجه دارسته •

هكذا كان انطباعى بعد دراستى الاستطلاعية التى أجريتها بين المجتمع المحلى فى قرية دار السلام النوبية ومزرعتها التعاونية فى الفترة من ٣ — ١٠ مارس ١٩٨٢ •

والشئ الطبيعى لمثل هذه الدراسة هو اعداد أدوات جميع البيانات وتسجيل الشواهد والمقابلات ومضمون الوثائق •

والواقع أننى أعددت استمارة استبيان لجمع البيانات شملت الحالة الاجتماعية ، والنوع والسن ، والتركيب المهنى والدينى والتعليم •

ومع بداية العمل فى المجال التطبيقى واجهت موقفا مثيرا حينما كانت تأتى بعض اجابات من أفراد العينة ، خاصة من السيدات كبار السن ، بلهجة نوبية ، مما جعلنى استعين بجهاز تسجيل الصوت ، وطالب وطالبة نوبيين من طلبة الدراسات العليا من خريجى المعهد العالى للخدمة الاجتماعية من المقيمين باسوان ، وكان الطالب من « الفاتديجا »

والطالبة من « الكنوز » وذلك للقيام بتسجيل المقابلات ، ثم ترجمة ما يأتى من كلمات نوبية الى اللغة العربية •

ومن الطبيعى فى مثل هذه الدراسة ، نجد الضرورة المنهجية تقتضى أن يتزود الباحث باستبصارات جديدة توجه الدراسة الى موضوعات لم تتطرق الى ذهنه • وفى الحقيقة كان شيخ القرية « الحاج طه محمد سليمان » هو الرجل الذى أسهم بأفكار متعددة حول كثير من قضايا هذه الدراسة • فقد كانت مقابلاتى الحرة معه مجالا لاجابات لعدد من التساؤلات ، وكانت هذه الاجابات تتسم بالصراحة وكثيرا ما كان يدعمها بالوثائق التى يحتفظ بها فى مسكنه •

وحينما كان يتطرق الحديث حول المزرعة التعاونية ، كان يتمسك بأن تكون اجاباته على أرضها وشواهد طبيعتها •

ولم يقف الأمر بالحاج طه محمد سليمان على الحوار فى قرية دار السلام والمزرعة التعاونية ، ولكن استمر الحوار بيننا فى مراسلات متبادلة حتى عدت مرة أخرى للدراسة الميدانية فى ١٩٨٣/٤/٤ ، والتى استمرت لمدة عشرة أيام ، وكان مسكنه مقرا لاستضافتى ، مما أتاح لى معه زيارة بعض الأسر وأيضا حرية التجوال بالقرية لتسجيل شواهدى على الطبيعة •

وبعد أن أنهيت دراستى الميدانية كتبت تقريرى ونشرته فى ١٩٨٢/١١/١ وأرسلت نسخة منه الى « الحاج طه » الذى أرسل يدعونى لزيارة أخرى •

وعدت الى قرية دار السلام النوبية فى ١٣ فبراير ١٩٨٣ والتقيت بصاحب الدعوة ، وشيوخ القرية ، وسبابها ، على مائدة مستديرة لمناقشة نتائج الدراسة ، وكنت على يقين أن المناقشة الجماعية لاشك أنها ستثير



صورة تجمع بين الباحث وشيخ قرية
دار السلام النوبية في موقع المزرعة التعاونية

أفكار هذه الجماعة حول موضوعات جديدة ، أو تكشف عن أشياء لم تتضمنها الدراسة .

لقد أسفرت الجلسة عن ملاحظة ، حول عدم ذكر الأنواط وشهادات التقدير التي منحت للقرية ، ومزرعتها التعاونية ، في شخص شيخها الشيخ طه .

وبهذه المناسبة فقد سبق وأن منح السيد رئيس الجمهورية نوط الامتياز من الدرجة الأولى للحاج « طه محمد » وذلك في عام ١٩٧٤ بصفته رئيساً لجمعية تنمية المجتمع بالقرية . كما منحه وزير الزراعة شهادة تقدير عام ١٩٧٢ تقديراً لجهوده في معاونة المجالس الزراعية على تأدية رسالتها في المزرعة التعاونية ، وأيضا منحته وزيرة الشئون الاجتماعية عام ١٩٦٤ ميدالية تذكارية لجهوده في العمل الاجتماعي في قرية دار السلام .

والملاحظ في هذا الشأن حرص « الحاج طه » على استضافة زوار القرية ، في داره ، ولفت الأنظار الى هذه الأنواط والشهادات ، التي وضعها في أماكن بارزة ، في حجرة الاستقبال . وهذا بالإضافة الى احتفاظه بسجل خاص ، يسجل فيه زوار القرية انطباعاتهم فيه . وباستعراض محتوى هذا السجل نجد كلمات الاعجاب العديدة التي سجلها أساتذة الجامعات ، وأعضاء السلك الدبلوماسي المصري والأجنبي ، والقيادات الشعبية المصرية .

وأود هنا أن أشير أن هذه الدراسة لم تجعل من نتائج شواهدنا مسلمات للأخذ بها ، فقد كانت هناك من الأمور ما جعلني أضعها موضع الشك ، وهذا ما دفعني أن أتخطى الحدود الجغرافية للمجال المكاني للقرية حتى أستبصر بعض الحقائق من المسؤولين في مديرية الشئون الاجتماعية بمحافظة أسوان ، وبعض قادة المجلس

المحلى ، وكبار السن من المقيمين بمدينة أسوان ، الذين كان لهم
اسهام المشاركة فى البناء الاجتماعى للقرية ومشروع مزرعتها
التعاونية •

الدراسة وأبعادها :

لا أستطيع أن أدعى لهذه الدراسة الميدانية أنها جاءت من خلال
جهد « الباحث » الفردى ، والحقيقة التى تذكر ، ان هذا الجهد شارك
فيه فريق معاون « للباحث » فى مجال جمع البيانات • وهذا الفريق
يتكون من السادة : محمد حامد يوسف المدرس المساعد بقسم الاجتماع
بكلية الآداب بسوهاج ، وحنفى محروس وأبو السعود ابراهيم المعيدى
بنفس القسم من هذه الكلية •

أما عن طبيعة هذه الدراسة الميدانية ، فهى فى واقعها تجمع بين
مجال الدراسات الأنثروبولوجية ، وبين مجال الدراسات السوسولوجية ،
وتنقسم الدراسة هنا الى مجالين :

المجال الأول ويتناول الفصل الثالث الذى يدرس مجتمع قرية
دار السلام النوبية ، من حيث الوصف المكانى واختيار العينة ،
والتركيب المهنى ، واللغة ، والدين ، والتعليم ، ومظاهر الملابس والحلى ،
والزواج ، والأغنية ، والنظرة للمولود ، والرعاية الطبية ، وطقوس
الوفاة ، والمجالس العرفية •

المجال الثانى ويتناول الفصل الرابع الذى يدرس المزرعة
التعاونية من حيث الأفكار والأعمال التى قدمها حولها الرواد الاوائل ،
وأثر تجربة المزرعة التعاونية فى دار السلام النوبية على مجتمع القرية •



صورة تجمع بين الباحث « والحاج طه »
كبير شيوخ قرية دار السلام النوبية
بجوار دار الضيافة

الفصل الثالث

مجتمع قرية دار السلام النوبية

المكان : تقع دار السلام النوبية على مسافة ٣٠ كيلو مترا شمال مدينة أسوان ، ومسافة ٩ كيلو مترات جنوب مدينة «كوم امبو» ، يحدها من الشمال قرية « دراو » التابعة لمركز كوم امبو ، ومن الجنوب قرية « بلانة » ، ومن الشرق قرية « أدندان » ومن الغرب نجع الشيخ ابراهيم • ويمر الطريق الرئيسى الزراعى ، أسوان — القاهرة ، وخط السكة الحديد ، بجوار القرية •

ويقيم أهالى القرية من النوبيين « الكنوز » غرب السكة الحديد ، وفى أطراف القرية ، بينما يقيم النوبيون « الفاتديجا » شرق السكة الحديد •

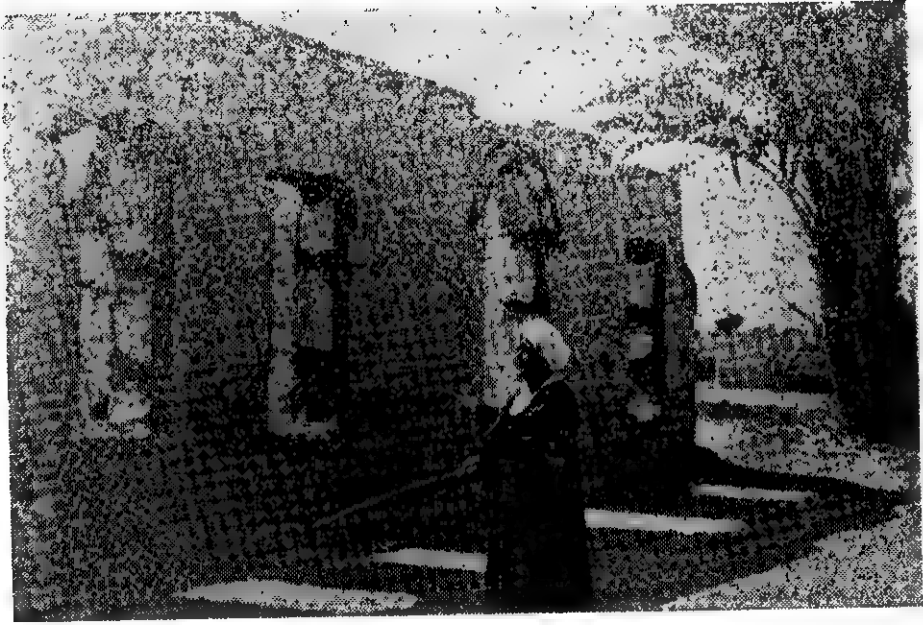
وتشكل قرية دار السلام النوبية وقرية « بلانة » وقرية « أدندان » مجلس قروى واحد ، مقره بلانة ، وهى تتبع اداريا مركز مدينة نصر •

ويبلغ عدد السكان المقيمين بالقرية حوالى (١٠٥٠) نسمة ، يمثلون (٢١) قبيلة •

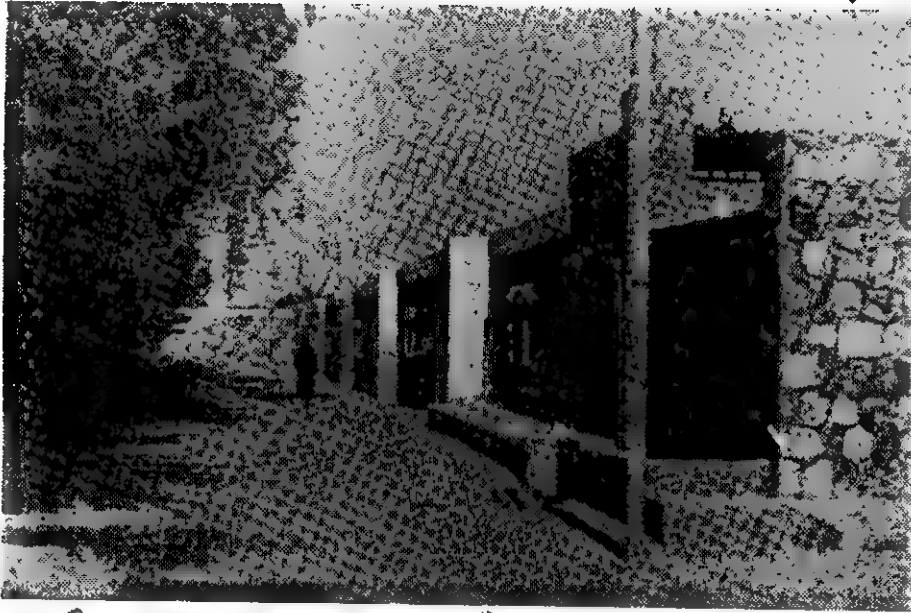
ومن المظاهر التى تلفت النظر فى مدخل القرية تلك المساكن المبنية من الطوب « اللبن » مسقوفة بعروق من الخشب ، وقد تهدمت هذه المساكن ، وأصبح معظمها خاليا من سكانه ، وذلك نتيجة مهاجمة حشرة « الأرض » النمل الأبيض • ونتيجة لذلك أقامت الدولة (١١٨) مسكنا على هيئة وحدات تضم ما بين حجرتين وخمس حجرات ، بنيت بالحجر الأبيض • ويتوسط كل مسكن حوش سماوى ، وتحتفظ هذه المساكن بالطابع النوبى فى البناء •



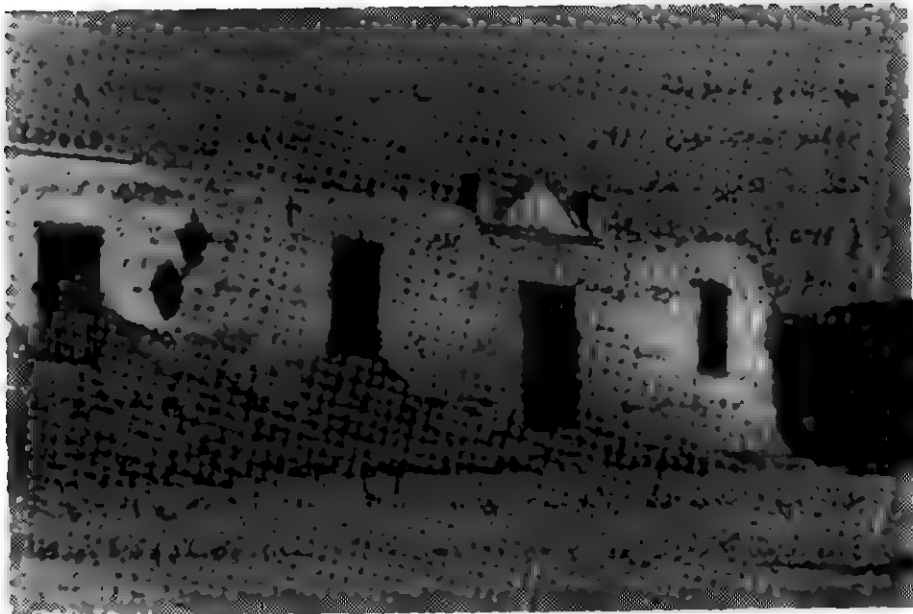
صورة توضح المنفذ الى قرية دار السلام النوية بالسوان



صورة لاطلال منازل قديمة في دار السلام النوبية
بعد ان قوضتها عشرة التحل الابيض



صورة لمبنى حديثة في دار السلام النوبية



صورة أحد المساكن المتبقية من قرية دار السلام
النوبية القديمة

ومساكن دار السلام النوبية جميعها مزودة بالمياه والكهرباء •
والملاحظ أنه لا يخلو مسكنا منها من غير وجود « مزيرة » وصندوق
تقليدى للتخزين ، وفرن يطلق عليه الدوكة ، هذا الفرن يستخدم
في صنع « الكابيدا » وهو خبز أشبه بخبز الرقاق •

ومع هذا فأغلب هذه المساكن بها ثلاجات ومراوح كهربائية ،
وأفران وسخانات تعمل بالبوتاجاز •

وبالقرية مدرستان مشتركتان لخدمة تلاميذ القرية والقرى
المجاورة ، الأولى مدرسة ابتدائية أنشئت عام ١٩٣٤ وبها حاليا سبعة
فصول ، وصل عدد المقيدين بها (٢٧٨) تلميذا وتلميذة ، بينما أنشئت
المدرسة الاعدادية عام ١٩٧٥ وبها الآن أربعة فصول تضم (١٣٥)
تلميذا وتلميذة ، حسب بيان المقيدين بها للعام الدراسي ٨٢ / ١٩٨٣ •

وفي مدخل القرية أقيمت وحدة صحية ، بها طبيب مقيم ،
وممرضتان ، وثلاثة من العاملين • وبتوسط القرية ، دارا للضيافة ،
بجوارها مبنى جمعية تنمية المجتمع الذي يضم دارا للحضانة ، وورشة
للنجارة ، ومشغلا للصناعات اليدوية أهدتهما « اليونسيف » للقرية ،
وبشغل المبنى أيضا مكتبا للبريد والتلغراف والتليفون •

ويوجد بالقرية (٢٤) خطا تليفونيا داخليا بمساكن القرية يخدم
المشتركين • وفي جنوب القرية أنشئ مسجد على نفقة الدولة عام
١٩٧١ ، وخصص به مكان لأداء شعائر الصلاة للنساء ، وتقوم إحدى
سيدات القرية بتحفيظ القرآن الكريم في هذا المكان لفتيات القرية •

وفي الطرف الشمالى من القرية أقيم مركزا للشباب ، يمارس فيه
أبناء القرية والقرى المجاورة أنشطتهم الرياضية • ويعد هذا النادي
امتدادا للنادى الريفى الذى أقيم بها منذ عام ١٩٤٦ •

العينة : تم اختيار أفراد العينة بنسبة ٢٠٪ تقريبا من عدد أفراد مجتمع القرية ، ويشكل « الفاتديجا » نسبة ٩٨٪ منهم ، بعد استبعاد الفئة العمرية أقل من ١٨ سنة ، وبذلك يصبح لدينا من الذكور عدد (٩٠) ومن الاناث عدد (١١٨) ومن هذا يتضح أن نسبة الاناث يمثلن ٧٦٪ من أفراد العينة •

ويعمل « جون كندى » تفوق عدد الاناث على عدد الذكور الى وجود عدد من رجال القرية في أعمال الصناعة والسياحة بمنطقة أسوان وأن ترددهم على أسرهم مرتبط بنوعية العمل والاجازات الى حد ، أنه أطلق على رجال هذه القرية زوار الاجازات (١) •

التركيب المهني : توضح الحالة المهنية من أن نسبة ٤٧٪ من عدد المستغلين من الذكور يعملون في الوظائف الادارية بالمؤسسات العامة ، والمصالح الحكومية ، ٣٣٪ يعملون في أعمال الخدمات العامة • بينما بلغ عدد العاملين في الأعمال الفنية غير الزراعية ١٨٪ أما الذين يعملون في الزراعة ، فقد بلغت نسبتهم من جملة أفراد العينة ٤٪ •

أما بالنسبة لعمل النساء فكانت نسبة اللاتي يعملن بالوظائف الحكومية ٣٪ أما اللاتي يعملن في نشاط انتاجي في اطار جمعية تنمية المجتمع فكانت نسبتهن ٦٠٪ ، وهؤلاء يعملن في صناعة الأطباق وعقود الخرز والطواقي والمفارش ، أما اللاتي يعملن في الزراعة فقد وصلت نسبتهن ٢٪ •

الدين : يدين مجتمع قرية دار السلام النوبية بالدين الاسلامي بنسبة ١٠٠٪ ويتمسك معظمهم بمواقيت الصلاة ، كما تحرص نسبة ٤٠٪ من النساء من أفراد العينة على صلاة الجمعة بالمكان المخصص لهن بالمسجد •



صورة للزيرة في منزل نوبى

أما بالنسبة للاطفال فكان الواضح حرص الآباء على تنشئة اولادهم تنشئة دينية ويتضح ذلك من صحبتهم الى المسجد في مواقيت صلاة الجمعة ، وتشجيعهم على حفظ آيات من القرآن الكريم •

وكان الشيء الملاحظ أنه حين يقدم أحد الآباء أبناءه ليعرفنى بهم، كان يحرص على استعراض ابنه لما يحفظه من القرآن الكريم ، وبهذه المناسبة فان أغلب الآباء يطلقون على أبنائهم أسماء الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته كما يطلقون على الفتيات أسماء زوجات وبنات وحفيدات رسول الله •

وحينما تناولت الدراسة سؤالاً حول الطرق الصوفية التي تتبعها أفراد العينة ، فكانت نسبة الذين يتبعون الطريقة المرغنية ٦٥٪ أما

الذين يعتنقون الطريقة الشاذلية فجاءت نسبتهم ٢٪ • أما باقى العينة فلم تكن تتبع أياً من هذه الطرق •

التعليم من الظواهر الشائعة في قرية دار السلام أن نسبة التعليم لفئات السن أقل من ١٨ سنة ، قد وصلت نسبتها الى ١٠٠٪ ، أما فئات السن أكثر من ١٨ سنة — يقرأون ويكتبون — فقد وصلت نسبتها الى ٩٩٪ تقريباً أما ما يقلل من هذه النسبة فهو وجود رجل واحد « أمى » تجاوز الثمانين من عمره ، ينتظر أهل القرية وفاته حتى يحتفلوا بآخر « أمى » من الرجال في القرية •

أما بالنسبة للاناث أقل من ١٨ سنة فتصل نسبة التعليم بينهن الى ٧٥٪ ، أما اللاتي يزدن عن ١٨ سنة — يقرأن ويكتبن — فتصل نسبتهن الى ٥٨٪ ويمكن أن تزيد هذه النسبة اذا ما عزلنا منها كبار كبار السن من السيدات من فئات العمر (٤٠) عاما فأكثر لتصل النسبة العامة الى ٧٥٪ •

وحينما تم حصر الذين حصلوا على مؤهلات عليا من أبناء القرية

حتى تاريخ هذه الدراسة . اتضح أنهم خمسة أفراد من بينهم فتاة واحدة ، أما عدد الذين حصلوا على مؤهلات متوسطة فقد وصل عددهم الى ٣٨ فردا من بينهم ١٢ فتاة .

الملابس والحلى : يناسب زى النوبيين طبيعة جو المنطقة التى يعيشون فيها ، فالرجال يلبسون الجاباب الابيض الفضفاض ويغطون رؤوسهم بمعمامة بيضاء كبيرة تقيهم حرارة الشمس ، ويعد هذا اللباس موحدا بين الرجال ليلبسونه بعد انتهاء العمل ، وفى المناسبات المختلفة فى الأفراح والمآتم وصلاة الجمعة ، وفى الأعياد والمواسم .

أما النساء فيرتدين خارج المنزل (الجرجار) وهو عبارة عن رداء من القماش الأسود شبه شفاف يلامس الأرض ويلبس فوق رداء آخر من لون زاهى .

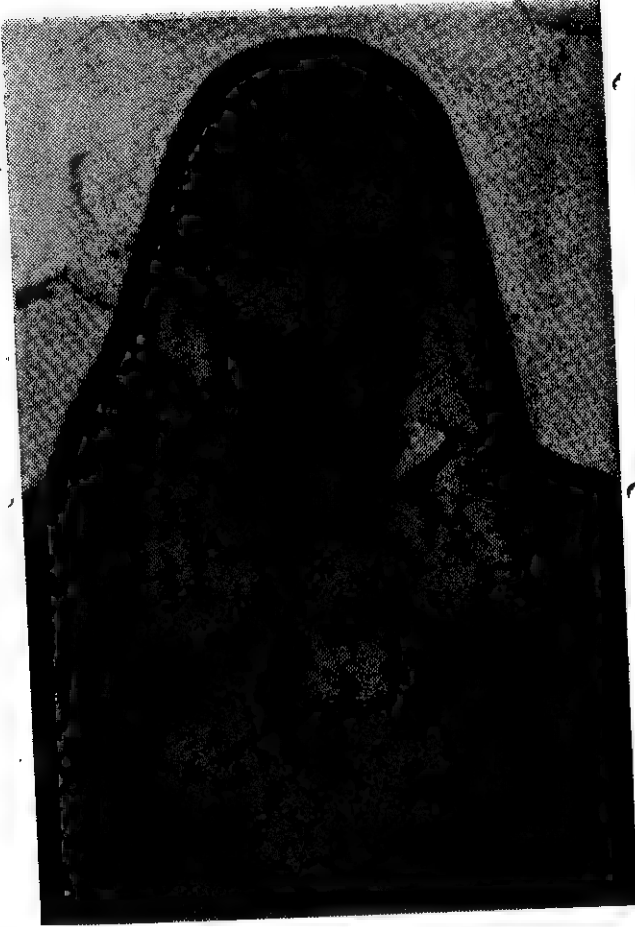
أما كبار السن منهن فيلبسن أيضا خارج المنزل جرجارا من قماش ، اسمه (بوال) من الدمور الأسود .

وتعتبر الحلى بالنسبة للمرأة من مظاهر الافتخار تستعرض به فى المناسبات فتضع منها على جبينها قطعة ذهبية تسمى «قصة الرحمن» كما تضع على صدرها أيضا قطعة أخرى تسمى «الببيه» وهى عبارة عن قلادة بها ست أقراص مستديرة مسطحة من الذهب كمثرية الشكل بدون نقوش يتوسطها قطعة ذهبية كبيرة مستديرة (ما شاء الله) عليها زخارف بارزة ، والمرأة النوبية تعتز بحليها ، وتحفظ بم ولا تفرط فيه أمام أشد الظروف ، لأن المتصرف فيه بالبيع يعتبر أمرا مشينا بين الأهل والمعارف .

الزواج : يتضح من مظاهر الزواج فى قرية دار السلام النوبية ذلك الترابط الاجتماعى بين جماعتها ، فقد كشفت الدراسة عن ٧٦٪ من المتزوجين قد اختاروا زوجاتهم من القبيلة التى ينتمون اليها ، ١٨٪ اختاروا زوجاتهم من قبائل أخرى من نفس القرية ، بينما الباقى قد تزوج من خارجها .



صورة فتاة ترتدي زي « الجرجار »
مجتمع قرية دار السلام النوبية



صورة فتاة نوبية « فاتيغا » من دار السلام النوبية
ترتدي قلادة « البيبة » الذهبية

والموضح أن نظام الزواج في القرية له أعرافه المستقرة ، فحين يرغب الشاب في الزواج يفصح عن رغبته لأحد والديه • وبعد استعراضها أسماء الفتيات بترتيب القرابة يستقر الرأي على واحدة •

ويدعو الأب واحد أو اثنين من كبار الاسرة أو القبيلة للقاء والد العروس أو من يتولى أمرها ، وفي حالة قبوله يطلب مهلة ، وهذه المهلة الهدف منها استطلاع رأى أسرته ، خاصة المقيمين منهم خارج حدود القرية ، ليعطى الفرصة لمن يريد لشبابها أن يتقدم لمصاهرته •

وفي الموعد المتفق عليه مع والد العروس للرد بالقبول يجتمع والدا العروسين ، وتعلن الموافقة على المصاهرة بقراءة الفاتحة ، والاتفاق على موعد تقديم الشبكة • ويطلق عليها « أيدوس » وفي يوم « الشبكة » يصحب والد العريس بعض أفراد أسرته ، ويتجهون الى منزل العروس وبقدمون الى والدها مبلغا من المال يتراوح ما بين ٢٥ الى ١٠٠ جنيها ، وبعض الهدايا العينية ، وقطعة من الحلى الذهبية تتمثل في قلادة أو أساور ذهبية •

وقبل موعد الزفاف يحتفى بليلة الحناء ، فيخرج من بيت العروسين طبقان من الخوص بهما حناء معجونة بماء الورد وحولها الشموع ، يحملها الفتيات ، ويطنن بها القرية بين الأغاني والزغاريد ، ثم يعدن بعد ذلك الى بيت العريس والعروس ليبدأ احتفال الأسرتين والاصدقاء ، بخضبهما بالحناء ، وتوزيع بعض منها على المدعوين •

وفي ليلة الزفاف يتوجه العريس وصحبه الى منزل العروس ، ويعقد عقد القران ، ثم يقدم للمدعوين البلح والفشار من الأزهر ، والشربات •

بعد ذلك يقدم العشاء ، والطريف ان اعداد العشاء يتولاه الرجال ولا تشارك فيه النساء ، والهدف من ذلك ترك المجال للسيدات للترتين ومجاملة أهل العروسين •

تبدأ بعد ذلك مظاهر احتفال الزفاف بتخصيص « كوشة » للعروسين أمام منزل العروس ، مكان الدخلة ، ويبدأ تجمع أهل القرية للرقص والغناء • ومع ضربات الدفوف التي يقوم بها ثلاثة من الرجال ، يبدأ رقص الرجال والنساء • فيقف الرجال في عدد من الصفوف يتقدمهم الشباب ، وكلهم يلبسون الجلباب الابيض والعمامة البيضاء ، وأمامهم صفوف النساء تتقدمهن الفتيات في سن النضج والزواج ، وفي الوسط رجل يقود تنظيم الصفوف ، وبين كل فترة وأخرى ينزل أقرب الناس للعروسين من كبار السن من الرجال والنساء ليتوسطوا فريق الرقص ، برقصة جماعية •

وأثناء هذه الرقصات ينسحب العريس وعروسه الى غرفتهما الخاصة بمسكن أسرة العروس وتستمر الرقصات حتى مطلع الفجر • ويحكى شيوخ القرية من الرجال والنساء عن ذكرياتهم حول ليلة الزفاف فترة الأربعينيات والخمسينيات ، أن العريس كان يزف ويديه « كرجاج » وعلى ذراعه سكين ذو حدين ، وقد سار خلفه حامل الكرسي لجلوسه اذا تعب ، يتقدمه حامل المبخرة ، ثم يتوجه الركب جميعه الى النيل للتبرك بمائه • ثم يتجهون الى بيت العروس للاحتفال بمظاهر الزفاف بالغناء والرقص •

وكانت حجرة العرس تشهد أيضا طقوسا خاصة ، فكان العريس يدخل الحجرة ويديه عصا على رأسها صليب خضب بالحناء ، وكانت العروس تجلس في ركن من الحجرة تحت غطاء ، وأمامها ثلاث أواني، احدهما به عينات من أنواع الحبوب ، وثانيهما به سكر ، وثالثهما به لبن • ويركن العريس عصاه ثم يأخذ من الحبوب ويرش عروسه فتبادله عملية الرش ، ثم يأخذ من السكر ويرشها فتبادله ذلك ، بعد ذلك يأخذ رشفة من اناء اللبن ويسقى منه عروسه رشفة أخرى •

أما تفسير كبار السن لهذه الطقوس فيرجعها بعضهم الى عادات جاءتهم بالمراث من حضارات فرعونية ومسيحية •

والواقع ان هذه الطقوس والعادات ، بدأت تتلاشى بعد الهجرة والتهجير نتيجة زيادة فرص التعليم للنوبيين، وتأثير الاعلام فيهم، والمحكات الثقافية مع المجتمعات الجديدة التي تشابت مصالحهم اليومية معهم •

ومن مظاهر المجاملة ، نثر العطور على المدعويين ، فيتقدم الشباب في شبه طابور يحملون زجاجات العطور ، وينثرون ما بها على الجالسين ، وتتوالى هذه العملية حتى انتهاء احتفال العرس •

ومن أغاني الأفراح الجماعية ما يغنى للعريس وللعروس بلهجة نوبية • ومن الطريف ان الفتيات اللاتي يتغنين بها ، يرددنها وراء كبار السن دون أن يعرفن ما تعنيه الأغنية •

وسأنقل هنا هذه الأغاني بمعانيها النوبية الى اللغة العربية •
فبالنسبة للعريس نقول الأغنية :

ادبح لى بقره ياسيدى ، ادبح لى جمل ياسيدى ••

ليه ياسيدى ؟

زى أبوك ••

زى عمك ••

زى جدودك ••

زى خالك

زى أخوك ••

وبالنسبة للعروس نقول الاغنية :

بتدلع على مال أبوها ••

وفى أراضى عمها وفى أراضى خالها ••

وفى أرض جدّها ، من فوق ومن تحت ••

وبهذه المناسبة هناك أغنية فردية « كنزية » تقول :

يا سمراء يا حبيبتى ••

الناس بيتكلموا علينا ••

وأنا داخل عندكم بيتكلموا ••

وأنا خارج من عندكم بيتكلموا ••

ايه رأيك ! •• قلتى ايه !

نخلص موضوعنا •• ولا أسيب لك البلد واهاجر •

وبعد احتفالات العرس تخصص سيده عجوز يطلق عليها « دشى »
لخدمة العروس تستمر معها لمدة أسبوع في بيت أسرته • وبعد ذلك
يأخذ العريس عروسه ويزور الاقارب والاصدقاء ، الذين يقدمون له
الهدايا خاصة الطيور •• وبعد ذلك يأخذها وويوجه الى بيته •

ومن مظاهر التعاون في هذه القرية المشاركة في اعداد بيت الزوجية
لغير القادرين منهم ، وذلك بأن تتبرع كل أسرة بما يزيد عن حاجتها ، من
قطع أثاث أو بعض المفروشات أو الادوات المنزلية وتقدم للعروسين ،
أو يقدم مبلغا من المال ، وفي كل الاحوال يقوم بتنظيم هذه العملية
شيوخ القرية •

النظرة للمولود :

لقد كشفت اتجاهات العينة نحو نوع المولود على تفضيل الذكور
على الاناث • فنجد أن نسبة ٧٥٪ من الرجال يفضلون الذكور على
الاناث وتتضح هذه الحقيقة أيضا من مظاهر الاحتفالات بهذه المناسبة •
وبالنسبة للمولود الولد يقام حفل ديني تقام فيه الاذكار في السبوع
وتذبح فيه الاغنام ، أما بالنسبة للانثى فيكون الاحتفال محمدا بتوزيع
الحلوى على الاطفال فقط ، كما يتضح أيضا من اتجاهات باقى نسبة
العينة ، أنهم لا يفرقون بين الذكور والاناث •

الرعاية الطبية :

بالرغم من وجود طبيب مقيم بمستوصف القرية ، الا أن القابلة
ما زالت تمارس عملية الولادة للنساء وختان الاناث • أما ختان الذكور
فيتولاه الطبيب •

ومع ذلك فما زال أهل القرية يعتمدون على الاعشاب في علاج كثير من الامراض وفي اعتقادهم أن حلف البر يشفى الامراض المعوية والدمسية تعالج أمراض الكلى والمثانة ، والحرجل يستخدم في علاج الامساك ، كما يستخدم قشر الرمان في علاج الدوسنتاريا •

كما يمارس بعضهم عملية « الحجامه » و « المورتاب » • والحجامه عبارة عن عملية تشريط في الجانب الأعلى من وسط الظهر ، لاستخراج الدم لعلاج ارتفاع ضغط الدم • أما « المورتاب » فهو عملية تشريط في وسط القدم ، لعلاج الأمراض المعوية •

شعائر الوفاة :

يقوم أهل القرية في حالة وفاة النساء بخضب كل جسدهن بالحناء والعطور ، ويغطى النعش بقوس من الجريد الاخضر لتمييزه عن الرجال • والشئ الغريب بالنسبة للرجال هو طريقة الكفن، فيعد الكفن من سروال وصديري وعمامة من القماش الأبيض ، ثم يكفن بالكفن الشرعى ، بعد ذلك يقوم أهل المتوفى بتقبل العزاء في المضيقة ، ويوزع البلح ومشروب القرفة والشاي ، ويقوم أهل القرية بتقديم وجبات الطعام لأهل المتوفى والمعزين لمدة ثلاث أيام •

أما بالنسبة للمقابر ، فلا تعلو على سطح الأرض ، وتتميز بقطعة من الحجر •

المجالس العرفية :

تتشكل هذه المجالس من كبار السن من أهل القرية ، والتي يحتكم اليها أهل القرية في معظم أمورهم الهامة • وحسب شواهد الدراسة فلم يسبق أن خرجت مشكلة من بين أهل القرية عن اطار هذه المجالس ، ومعظم المشكلات تجد الحلول المنصفة فيها ، كما أن قراراتها تحظى بالاحترام وتوضع موضع التنفيذ •

الفصل الرابع

المزارع التعاونية

المجالات النظرية والتطبيقية :

تصور فلاسفة الاغريق النظم المثلى للحياة الاجتماعية فيما تمثله في جوانب عملية واخلاقية للتعاون الاجتماعى ، ففى فلسفة افلاطون مثلا نجده يقول « ان الجماعات ظهرت قبل كل شىء نتيجة للحاجات البشرية التى لا يمكن اشباعها الا حين يكمل الناس بعضهم بعضا ، فللناس حاجات كثيرة ، ولا يوجد من يستطيع العيش على أساس الاكتفاء الذاتى ، ومن ثم كان لزاما ان ينشد كل من الآخر العون والمبادلة .

وبمثل هذا التطور القى افلاطون ضوءا على ناحية من نواحي الجماعة عنده على أساس انها نظام الخدمات يقوم فيها كل عضو بقدر من الاخذ والعطاء ، بمعنى أن عليه خدمات يجب أن يؤديها بالتعاون مع غيره ، واذا كانت الدولة تكفل له الحرية فليس الغرض من ذلك مجرد تمتعه بارادة حرة . بل الغرض من ذلك تمكنه من أداء الخدمات المطلوبة .

أما أرسطو ، فقد تصور المجتمع بمنهج آخر ، يعرف بالمنهج التكويني ، فأبرز ظاهرة التعاون فيه على انها حقيقة لا بد منها في تكوينه ، ووصف الانسان بأنه حيوان سياسى ، وكان يعنى بذلك انه مدنى واجتماعى الطبع ذلك لأن الانسان لا يمكن أنه يتصور وحدة منعزلا مطلقا ولهذا فلا بد ان يوجد في جماعة . ويرى « أرسطو » أن الأسرة - لا الفرد - وهى الوحدة الرئيسية في المجتمع ، والأسرة مع غيرها من الأسر تتكون منها القرية « واذا تعددت حاجات القرية واحتاجت الى غيرها من القرى تكونت عن ذلك الدولة .

ومعنى هذا ان أرسطو يرى ان المجتمع والدولة لا يمكن لاحدهما ان يقوم الا على أساس التعاون بين الأفراد ولولا هذا التعاون لما كان المجتمع (١) •

لقد كان لهذه الفلسفات السياسية القديمة من العوامل التى أسهمت فى تشكيل النظريات الحديثة للتنظيم التعاونى والذى كان من

أبرز أصحاب هذه النظريات « سيسوندى وفورييه » أما الذين حولوا تصوراتهم الى واقع يمارسون من خلاله تطبيقات عملية ، فكان أهمهم « روبرت أوين » و « أبرام كومب » و « وليم تومسون » و « موسى العلمى » •

وحينما أحاول استعراض أفكار هؤلاء ، ومنجزاتهم ، فانما أحاول الوصول الى ادراك درجة التشابه والاختلاف بين أفكارهم وتجاربهم ، وأفكار جماعة النوبيين من أفراد عينة الدراسة ، وتجربتهم أيضا فى اعداد المزرعة التعاونية فى دار السلام النوبية ، ومن هؤلاء نجد « سيسوندى » (١٧٥٣ — ١٨٢٤) الذى وضع اطار تصوريا لتوزيع عائد الانتاج على المجتمع ، وذلك بتوزيع ملكية وسائل الانتاج على المنتجين ، ولقد شجعه على أفكاره هذه ، النجاح الذى أحرزه الفلاحون الفرنسيون فى تحسين مستوياتهم ونتاجهم وزيادة المحاصيل بعد ان مكنتهم الثورة من ملكية الأرض وخلصتهم من الاستغلال الأقطاعى • وأشار أيضا الى الانجازات التى حققها صغار الفلاحين من نجاح فى سويسرا وبعض أجزاء ايطاليا ، وأرجع ذلك الى ظروف الحياة الحرة — الى حد ما — التى كانوا يعيشون فيها •

المشاركة فى تأجير الأراضى ، وهو النظام الذى يتقاسم فيه الفلاحون مع أصحاب الأرض ايراد محصول الأراضى ، على أن يزود صاحب الأرض الفلاح برأس المال اللازم ، وكان يفضل دائما أن يتمكن الفلاح الصغير بفلاحة أرضه طبقا لأفكاره ، وبالتالي يجنى ثمار نشاطه وهو

(١) كمال حمدي أبو الخير : النظم التعاونية فى الدول المختلفة . مكتبة عين شمس . القاهرة . (١٩٦٧) . ص ١١ ، ١٢ .

مطمئن • نأتى بعد ذلك الى تصور «فورييه» (١٧٧٢ — ١٨٣٧) الذى وضع نموذجا لقريته التعاونية، واقترح لها ١٦٠٠ من الأفراد يفلحون ما يقرب من ٥٠٠٠ خمسة آلاف فدان من الأراضى الزراعية، ويذهب فى ذلك، الى أن مثل هذا العدد يستطيع أن يكون فيما بينه علاقات اجتماعية طيبة ، وفى نفس الوقت لا يشكل عبء التراحم فى القرية •

وقد أطلق « فورييه » على مجتمعه اسم « فالانستير Phalanster » وهى تعنى فى اللفظ اليونانى كتيبة Phalanx ، وكان يريد لهذه الجماعات أن تعيش فى بناء ضخم مشترك ومجموعة من المباني مجهزة تجهيزا كاملا بالخدمات المشتركة بما فيها دور الحضانة لرعاية الأطفال ، بيد ان السكان لا يعيشون معيشة مشتركة الا بقدر ما يريدون فلكل عائلة سكنها الخاص وحريتها فى أن تفعل ما يحلو لها فى الاحتفاظ بحياتها الخاصة أو استخدام المطاعم المشتركة • والأماكن العامة^(١) •

لقد كان من رأيه أيضا ، وضع مكافآت خاصة مقابل المهارة والمسئولية والقدرة الادارية ، وان يسمح أيضا بفائدة على رأس المال المستثمر الذى يستخدم فى تنمية الفلانستير ، بل الواقع أنه كان تأمل أن يصبح كل شخص مستثمرا فى رأس المال المشترك على نطاق كبير أو صغير •

ويتصور « فورييه » أن تحقيق انشاء « الفلانستير » لا يمكن أن يتم الا بعيدا عن طريق الدولة وهيئاتها العامة ، ولذلك يقترح أسلوب التنفيذ عن طريق المشاركة بالتطوع ، وكان يناشد أصحاب رؤوس الأموال الاستجابة لمشروعه وان يتقدموا بأموالهم لتأسيس مجتمعات تعاونية محلية •

أما الذين حاولوا ان يضعوا تصوراتهم في إطار تطبيقي ، فقد جاءت محاولاتهم في إطار ايديولوجيات دينية ، ولكن فاعليتها لم تستمر الى ان جاء « روبرت أوين » رائد التعاونيات فقد قام بشراء قرية « نيوهارموني » من اتباع « جورج راب » وهم شيعة دينية ، كانوا قد هاجروا الى أمريكا من المانيا في عام ١٨٠٤ ، وأسسوا نظاما من الحياة المشتركة في « نيو هارموني » وعندما وصل « أوين » كانوا يريدون اعدادها واستغلالها • ومن ثم كانت لديهم نية البيع • واشترى « أوين » المستعمرة بأكملها ، وبدأ في انشاء أول مجتمعاته الجديدة •

وكانت دعوته للمجتمع الجديد على أساس تنظيم الانتاج الصناعي والزراعي بأسلوب ديموقراطي ، الا أن المستوطنين اختلفوا فيما بينهم ، فتركها لتلاميذه ، ليصفوا المشاكل ، ويعيدوا تنظيم المستعمرة •

من الواضح أن الفروق الجوهرية بين أفكار « فورييه وأوين » تكمن في معالجتها لرأس المال ، فقد دعا فورييه الى اضمحلال الأجور التي يتقاضاها الأفراد المختلفون ، والى تخصيص نسبة من العائد الكلي للانتاج لأولئك الذين استثمروا أموالهم فيه • وبذلك اعترف بمبدأ تنوع الربح على رأس المال ، بينما ذهب « أوين » الى انه ينبغي مكافأة رأس المال بمعدل ثابت أو بحد أقصى من الفائدة^(١) •

لقد كان من نتائج فشل أفكار « أوين » انها لم تنشأ من صميم الحاجة الماسة عند هؤلاء الذين أشتروا فيها ، بل كانت من وحي احلام الداعيين لحركة الاصلاح • وهذا أمر يجب أن يأخذ حظه من الاعتبار والتقدير لكل من يحاول ان يوجه مجتمعا مثاليا الى غايته • بمعنى أن

عليه أن يقدر من هم المشتركون في هذا المجتمع ، وقد كان « أوين » مبالغا في التفاؤل عندما تصور ان الفقراء والعاطلين يمكنهم ان ينتظموا في مجتمع تعاوني مثالي ، ان الفقراء والعاطلين يمكنهم أن ينتظموا في مجتمع تعاوني مثالي ، ولكن يبدو أن الفقر والجهل يصحبهما في بعض الاحيان أنماط أخرى في المستوى الخلقي والنضج الاجتماعي وبذلك يستحيل معه أن ينتظم الفقراء والجهلاء في مجتمع يقوم على المثل والقيم مالم يصحب ذلك رقابة ورعاية وتوجيه مستمر لبث الروح الجماعية فيهم .

ومن الذين أتبعوا نهج « أوين » في مجال التطبيق « أبرام كومت » الذي قام بإنشاء مجتمع «أوربستين orbiston » برأس مال قدره ٥٠٠٠٠ جنيه ك مقسم الى أسهم قيمته ٢٥٠ ج ك . وقد ساهم « جورج ميدى » الذى كان يعمل محررا بجريدة «الايكونومست» بنصيب كبير في رأس المال . وقد أشتري « كومب » مزرعة مساحتها ٢٩٢ اكرا (فدان تقريبا) وكان ابنه « أ . ح هاملتون » متحمسا للمشروع ، فساهم فيه بمبلغ ١٩٩٥٥ ج ك .

وكانت الفكرة تقوم على أساس اشتراك لفيف من العمال تتراوح عددهم بين ٥٠٠ ، ٣٠٠٠ يعيشون معيشة مشتركة في المستعمرة الواحدة ويخصص لهم بناء واحد على شكل مستطيل طوله ٦٨٠ قدما وعرضه ٥٠ قدما وأرتفاعه أربع طوابق مقسمة الى مساكن مستقلة يتوسطه قاعة محاضرات وبه مطبخ واحد ومطعم واحد للجميع ، ويخصص لكل عائلة مسكن من تلك المساكن وعلى كل عائلة ان تربي أطفالها الى سن الثالثة ثم تعهد بتربيتهم بعد ذلك الى المجتمع . وعلى الوالدين الاشراف على أطفالهم في أوقات الطعام فقط .

كما خصص مبنى آخر يتكون من خمس طوابق لاقامة الصناعات اللازمة وتأجير الأرض وما يمثلها من مباني لأعضاء مجتمع أوربستين ليقوم هؤلاء العمال بعملية الانتاج لأنفسهم ولحسابهم .

وفي مارس ١٨٢٥ بدأ فئات عديدة من الأشخاص من شتى

أنحاء انجلترا عملهم الجدى • وقد قبل معظمهم مبدأ الملكية الجماعية والدخل المتساوى ، ولكنهم كانوا حريصين على تجنب المساهمة في العمل بجهد متساو ، فانتشر الكسل بين أفراد المستعمرة ، وعم بينهم الاسراف وتعودوا القذارة كما ثبت بالتجربة ان تخصيص مطبخ ومطعم عام للجميع عمل غير ناجح ، وقد أدى ذلك الى تعثر بعض جوانب المشروع •

وبوفاة « كومب » فى أغسطس ١٨٣٧ أغلقت أبواب القرية نتيجة أفلاسها ومطالب الدائنين^(١) •

بعد ذلك نأتى الى تجربة : « وليم تومسون William Thompson (١٧٨٠ — ١٨٣٣) وهو أحد المعاصرين « لروبرت أوين » وقد ورث مزرعة « كلونكين Clonkeen » عندما بلغ الثلاثين من عمره ، وقد أوصى بها عند موته الى مديرى أعماله بشرط إقامة مجتمع تعاونى عليها •

لقد كان تصور « وليم تومسون » أنه لن يوجد مجتمع أسعد من الذى توزع فيه الثروة بين أعضائه بالتساوى • وان مثل هذا المجتمع قد يكون فقيرا ، ولكن اذا أراد ان يرتفع بمستوى رفايته ، فان عليه أن يعمل حتى يبلغ الانتاج أقصى ذروته • وكان من رأيه ان العمل مصدر الثروة ، وهو فى ذلك يقول :

« ان رأس المال ما هو الا عمل مدخر وان اثمان السلع فى السوق تحدد بمقدار العمل الذى بذل فى انتاجها • وأنتهى الى ان العمال وحدهم هم العامل الأساسى فى الانتاج ، ولذلك لا بد ان يعود عليهم كل ما يأتى به الانتاج من ثروة » • ويذهب « وليم تومسون » الى تأكيد أهمية انتظام ومشاركة العمال فى المجتمعات التعاونية التى تدار بواسطة أعضاء منتجين من بينهم ، وبذلك لا يكون هناك

(١) كمال حمدي ابو الخير : المرجع السابق . ص ٤٨ ، ٤٩ •

من يستولى على الربح ، واذا استطاعوا أخيرا ان يمتلكوا الأرض ورأس المال الذى هم فى حاجة اليه ، فلن يكون هناك — حينئذ — من يقاسمهم ناتج جهودهم عن طريق الاتجار أو الفائدة . كما وينتج عن ذلك استبعاد البطالة والأنواع الأخرى للضياح الاقتصادية ، وذلك عن طريق الموازنة بين العرض والطلب ، والتقريب بين المنتجين والمستهلكين . وكان يرى ان هذه المجتمعات التعاونية بين العمال لا تستدعى وجود أموال ضخمة كما تصورها « روبرت أوين » ، ولذلك اكتفى « وليم تومسون » بخمسة آلاف أو ستة آلاف جنيه انجليزى لاعداد مشروعه .

الا أن الملاحظ ان « تومسون » فى جميع تصوراته لم يرشد العمال على الوسيلة التى يستطيعون بها تجميع مثل هذا المبلغ ، وكان يرى ان تفكير العمال فى أحداث الثورات لا يعود عليهم الا بالضرر ، وان الواجب على العمال المتعاونيين ان يطالبوا الحكومة بحماية المنشآت التعاونية . وتوفى فى عام ١٨٣٣^(١) .

مشروع جمعية التنمية العربية :

يرجع أصل المشروع الى المحاولات الأولى التى قام بها موسى العلمى عام ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ بهدف تعاون واشترك الجامعة العربية أشتراكا فعالا فى برنامج رفاهية القرية بفلسطين ، وفى الحقيقة كانت جهود « العلمى » من أجل مشروع جمعية التنمية العربية ، هو ايجاد وسيلة لايقصاف التدفق المستمر فى نقل ملكية الأرض من العرب الى اليهود ، نتيجة الفقر والجهل ونقص التسهيلات الائتمانية والتأخر العام للفلاحين العرب ، لقد شكل « موسى العلمى » من ادارة هذا المشروع جماعة من القدس تتكون من شخصيات عربية

(١) نفس المرجع السابق . ص ٥٦ ، ٥٧ .

فلسطينية تحت اسم « جمعية التنمية العربية » ووافق أعضاء الجماعة على مقترحات « موسى العلمي » وتبرعت حكومة العراق بمبلغ ٢٥٠.٠٠٠ (مائتى وخمسون ألف جنبها استرلينيا) وكان هذا الاعتماد الأساسى الذى مول الجمعية فى عملها .

اشترت الجمعية لتحقيق فكرة ايجاد قرية نموذجية تضع المستويات من أجل الاسكان القروى - قطعة كبيرة من الأرض بمنطقة جنين وقطعة أصغر فى وادى الأردن الأعلى . وقد وقعت القطعة الأولى فى أيدى الاسرائيليين عام ١٩٤٥ م وضاع الاتفاق الرأسمالى والجهود التى بذلتها الجمعية من أجلها .

حاول « موسى العلمي » أن يحقق تجربته مرة أخرى فحصل على اذن من الحكومة الأردنية عام ١٩٤٩ فى تملك قطعة أرض - مساحتها ٥٠٠٠ آلاف فدان بهدف الاستصلاح فى الجزء الجنوبى من وادى الأردن شمال البحر الميت مباشرة . وهى من أشد الأمكنة انخفاضاً .

لقد كانت هذه الأرض مسجلة على انها ميتة وبور ولم تكن هناك أى زراعة تنمو بها الا بعد الأمطار القليلة « متوسط ثلاث بوصات فى العام » ولقد كانت هذه الأرض بمثابة الصحراء وكان جوها حاراً وقفراً كالحال فى الجزيرة العربية .

ان أول الحقائق السياسية التى أراد توضيحها « موسى العلمي »، وخاصة بالنسبة لمؤسسة الأمم المتحدة المسئولة عن مشروعات الاعانة والتعمير ، انه من الضرورى - قبل استبعاد أى مساحة من الأراضى باعتبار أنها غير ملائمة للاستصلاح بسبب عدم وجود المياه أو أى سبب آخر - أن تكتشف امكانياتها بالكامل ، لقد كانت هيئة الأمم المتحدة لاغاة اللاجئين وتشغيلهم ، على الرأى القائل بأن وادى الأردن لا يقدم أى امكانيات جذابة لتنظيم حياة اللاجئين . كما أنها ناصرت الرأى القائل بتحويل مجموعة اللاجئين الى سوريا والعراق وليبيا .

وهذا الرأي مؤسس على حقيقة انه لا توجد مياه كافية لجعل وادى الأردن قابلاً للزراعة وخاصة في الجزء الجنوبي منه .

وتبعاً لذلك فقد قامت جمعية تنمية المجتمع بتجارب حفر الآبار وكانت النتائج مشجعة بعد اكتشاف المياه على عمق يقل عن مائة قدم به وكان حلو المذاق به أقل ما يمكن من الملاحه وكان وافرا وغزيراً .

ومنذ ان حفرت البئر الأولى فان ٢٤ بئراً أخرى قد تم حفرها بعد ان تسلمت الجمعية في عام (١٩٥٣) آلة حفر عميقة كهديّة مشتركة من شركتي «التابلاين والارامكو» ، ولقد بلغ متوسط التدفق من كل بئر منتجة نحو مائة متر مكعب في الساعة ، وبالرغم من الصعوبات التي كانت تواجهها الجمعية من عجز ميزانيتها لشراء أنابيب ومحركات للآبار الأخرى .

فقد أمكن للجمعية ان تبدأ زراعة الأرض التي تحت يديها وأمكن استصلاح ٢٥٠٠ دونم (٦٢٥ فداناً) أعدت للزراعة بالإضافة الى مزروعات هذه المنطقة والتي تمثل ١٦٠٠٠ شجرة من أشجار الغابات ، ١٠٠٠٠ شجرة موز ، ٥٠٠٠ شجرة موالح ، ٨٠٠٠ شجرة عنب ، وهي تعطى أكلها باستمرار وذلك بالإضافة الى محاصيل ناضجة بدرجة كبيرة من الخضروات والحبوب والقطن وحشائش تغذية المواشى .

ولقد ساعدت الخصوبة الشديدة للأراضي والمياه الكافية وشدة الحرارة على بلوغ نتائج مذهشة ، وبذلك تغير وجه الطبيعة بالواحات الخضراء التي خلقتها الجمعية في مدة تزيد قليلاً على ثلاث سنوات .

ووفقاً لذلك فقد أمكن تحقيق أول الأهداف التي وضعها « موسى العلمي » والجمعية في اكتشاف مصادر المياه وقابلية الأرض للزراعة ولقد كانت احدى النتائج المباشرة تنشيط المشروعات الفردية للبحث

عن المياه الى جوار أراضي الجمعية • اما الحقيقة الثانية فقد كانت توجيهه أنظار كل من اللاجئين والحكومات العربية الى وجود تصرف بديل عن استمرار بقاء اللاجئين في المعسكرات ، حتى يمكنهم العودة الى أوطانهم ، بدلا من البطالة التي يعيشونها في المعسكرات ، وحتى لا يكونوا عبئا اقتصاديا على الدول • وبالتالي فمن الممكن عونهم في تنمية المناطق المتأخرة حتى يتحولوا الى أعضاء منتجين في المجتمع واحترامهم الذاتي كمخلوقات بشر •

لقد كانت الفكرة الأصلية للجمعية ، ان القرية التي تبنى على موقع المشروع ينبغي أن تكون قرية تعاونية، وانه ثمة اتمام استصلاح الأراضي، فان اللاجئين المقيمين يكونون مجتمعا يحكم ذاتيا • ومع ذلك فقد تدخلت العوامل الشخصية من أجل تعديل سياسة الجمعية • فأولا ورغم الحماس نتيجة لاكتشاف الماء ، فقد ابدى اللاجئون عدم الرغبة في ترك معسكراتهم والاستقرار في المشروع ، لقد كانوا مترددين في المخاطرة بفقد حصصهم التموينية عن طريق ايجاد العمل الذي قد لا يدوم حسب تقديرهم ، وقبل كل شيء ، فقد كانوا يخافون من انه بالاستقرار في المشروع فقد يفقدون بعض حقوقهم نحو بيوتهم التي توجد باسرائيل أو يفقدون التعويض عنها ، لقد كان شغلهم يتمثل فيما فقدوه لا فيما يمكن أن يحل محله • **وثانيا** فان مشكلة جديدة تظهر بين اللاجئين بسبب وجود عدد كثير من الأطفال الذكور والاناث لا يتيسر لهم اطلاقا التسهيلات التعليمية أو يتاح لهم القليل منها وينشأ هؤلاء في عالم لا يمنحهم وطنا أو مستقبلا أو أصلا • **وثالثا** : فلقد كان هناك أمكانية متزايدة بعد الكشف عن المياه الجوفية ، والاهتمام المتزايد من جانب الخبراء الدوليين والمهندسين بمشروع نهر اليرموك حتى ان وادي الأردن سيصبح مكانا لتنمية

وأسعة المدى ، وهذا سوف يخلق الطلب على الفلاحين من ذوى المهارة التى تعين الزراعة فى وادى الأردن وعلى الفنانين والأعمال والحرفيين الذين سيكونون مطلوبين لتكوين بيئة جديدة .

لقد أسهمت هذه العوامل الثلاثة فى اقناع « موسى العلمى » وجمعية التنمية العربية تغيير اتجاه هذا المشروع من ان يكون زراعيا أساسا ليصبح مشروعا تعليميا^(١) .

تجربة مزرعة دار السلام النوبية :

بدأت تجربة مزرعة دار السلام النوبية مع وصول أهالى القرية الى موطنهم الجديد ، فقد بذلوا عدة محاولات فى استغلال الأراضى الزراعية الجديدة . وكانت هذه المحاولات فردية ، وقد اتضح لأهالى القرية ان هذه الأراضى تفتقر للمياه اللازمة للرعى نتيجة لوقوعها فى الناحية الشرقية للطريق الرئيسى بعيدا عن مصدر مياه الرعى . واستمرت محاولات الاهالى لاستغلال الأراضى الزراعية الجديدة سنوات طويلة ، وقد حاول الكثير منهم الحصول على المياه اللازمة للرعى عن طريق حفر الآبار وصلت الى ٣٣ بئرا ، وأقامة السواقي لرفع المياه ورعى الأراضى .

لقد جاءت المحاولات الأولى للنوبيين فى استصلاح الأراضى بأعداد بعض الاجزاء من هذه الأراضى للزراعة لان مياه الآبار كانت شحيحة مما أدى الى عدم قدرة السواقي على توفير المياه اللازمة للرعى ، الا لعدد قليل من الأفدنة ، ومما زاد المشكلة تعقيدا أن مياه الآبار كانت تحتوى على كمية كبيرة من الاملاح بالدرجة التى

(١) س. حورانى : مشروع جمعية التنمية العربية فى اربحسا - الاردن . دراسة فى سلسلة الالف كتاب . العدد ٦٦٧ عنوانه التغير الاجتماعى والتنمية الاقتصادية . الناشر مؤسسة سجل العرب . (١٩٦٧) . ص ٤٣٥ — ٤٤٤ .

أصبح من الصعب معها انتاج محاصيل جيدة ، ومع ذلك لم ييأس البعض ، في محاولاته عدة سنوات ، وفي عام ١٩٤٠ بذلت محاولات أخرى لاستصلاح الأراضي وزراعتها ، وقد قام احد الاهالى بشراء مضخة لسحب المياه ، الا أنه نتيجة لارتفاع تكاليفها مع قلة المياه التى تسحبها المضخة ادى ذلك الى صعوبة تعميمها •

لقد أدى فشل أهالى القرية فى عمليات استصلاح الأراضي الزراعية وضياع مدخراتهم الفردية ان هاجر كثير من الأهالى سعيا وراء الرزق ، حتى يستطيعوا أن يوفرولعائلاتهم مصدرا للدخل ، واتجه معظم الأهالى الى تغيير مهنتهم الزراعية والالتحاق بمهن أخرى •

وكان نتيجة لهجرة الأهالى وتغيير مهنتهم ، انقطاع الصلة لمعظم أهالى القرية بالزراعة لفترة طويلة من الزمن ، الأمر الذى أدى الى ان أصبحت الأرض لا تجد من يقوم بزراعتها ، مما كان له الأثر فى المساعدة على انشاء جمعية تعاونية زراعية بالقرية ، ساهم الأهالى فى تكوينها ، وقامت هذه الجمعية بالاشراف والادارة للمزرعة الجماعية ، وعملت على تعويض النقص فى الأيدى العاملة بالزراعة ، عن طريق توفير هذه العمالة من القرى المجاورة لهم •

مشكلة تفتت ملكية الاراضى الزراعية :

لقد ظهرت مشكلة أخرى واجهت أهالى قرية دار السلام النوبية وهى مشكلة التفتت فى ملكية الأرض بتوالى الاجيال • حيث ان التفتت فى الأراضي الزراعية يعمل على اعاقه استخدام الأرض الزراعية الاستخدام 'الأمثل' وهى من العناصر الأساسية فى عناصر الانتاج ، وبالتالي تعمل على الحد من الكفاءة الانتاجية لمزرعة نتيجة ارتفاع تكاليف الانتاج الحدية لكل وحدة من وحدات عناصر الانتاج المستخدمة •

وقيام الجمعية باستغلال أراضي الأهالي المشتركين وزراعتها وتسويق المحاصيل وتوزيع العائد على الأعضاء •

لقد حظى هذا الاقتراح بتأييد الأهالي وذلك لاتفاقه مع قرار لجنة الزراعة والرعى الذى يوضح ان الملكيات الفردية التى تقل مساحتها عن ٢٠ فدان يتم استصلاحها عن طريق جمعية تعاونية تمويلها الدولة ، وتتولى هذه الجمعيات تحصيل التكاليف من الملاك ، وهذا ما يساعد أصحاب الملكيات الصغيرة فى الاستفادة من التعاون ، واستخدام أساليب الانتاج الحديثة ، مما يؤدى الى خفض تكاليف الانتاج ، وبالتالي زيادة عائدهم من أراضيهم •

ولذلك فقد كان مواجهة مشكلة تفتتت الأراضي الزراعية من العوامل الهامة التى أدت الى قيام الجمعية التعاونية الزراعية فى استغلال الأراضي بصورة جماعية وقيام مجلس ادارة من القرية يتولى الاشراف على ادارتها (١) •

وعندما بدأ تهجير أهالى النوبة عام ١٩٦٣ نتيجة لبناء السد العالى ، والانتفاء من شق ترعة « أدندان » السفلى لتوفير المياه اللازمة لرى الأراضي الزراعية لأهالى النوبة ، بدأ الاهالى فى « قرية دار السلام النوبية » فى المطالبات المتعددة لاستصلاح الأراضي الزراعية بالقرية ، الى أن تمت المقابلة بين أهالى القرية ولجنة الخدمات بمجلس الأمة والتى كانت مكلفة من قبل المجلس لتقصي الحقائق الخاصة بمشاكل النوبة المصرية عام ١٩٦٨ ، وبناء على توصية لجنة الخدمات ، تم الاتصال بوزير الزراعة للإصلاح الزراعى بتاريخ ١٩٦٨/٥/٤ لمعاملة أراضي قرية دار السلام النوبية نفس المعاملة التى أتبعته فى تسوية أراضي الحياض بالوجه القبلى وذلك

(١) محمد على حسنين : دراسة تحليلية للمزرعة التعاونية بقرية دار السلام النوبية . بحث غير منشور فى التخطيط الزراعى . معهد التخطيط القومى . (١٩٧٥) . ص ٤٨ — ٦١ .

سأن تتولى المؤسسة المصرية العامة لتعمير الأراضى التابعة لوزارة استصلاح الأراضى اعداد الدراسات اللازمة لعمال الاستصلاح واسناد تنفيذها لحدى شركات استصلاح الأراضى والاشراف على عمليات التنفيذ ، وقد تم تدبير المبلغ اللازم لعمليات الاستصلاح وقدره ٨٠٠٠٠ ثمانون ألف جنيه .

وطبقا لقرار لجنة الزراعة والرى الذى تضمن أن الأراضى الزراعية التى تقل مساحتها فى حالة الملكية الفردية عن ٢٠ فدان يتم استصلاحها عن طريق جمعيات تعاونية تمونها الدولة وتتولى تحصيل تكليف الاستصلاح من الملاك ، فقد استلزم ذلك قيام جمعية تعاونية تكون مسئولة عن تحصيل تكاليف استصلاح هذه الأراضى من أصحابها . وبذلك استقر رأى على انشاء جمعية تعاونية زراعية تتولى زراعة الأرض فى مزرعة جماعية واحدة يتولى الاشراف عليها مجلس ادارة من أهالى القرية ، مع عدم مطالبة الملاك المساهمين فى الجمعية بنصيبهم من الارباح الا بعدد ثلاثة سنوات انتاجية ، حتى تستطيع الجمعية تدعيم مركزها المالى والوفاء بالتزاماتها المالية .

وقد تم شهر الجمعية التعاونية الزراعية بدار السلام النوبية تحت رقم ٦٨٨ أسوان بتاريخ ١٤/٧/١٩٦٨ ، ونشرت لائحته ونظامها الأساسى بالوقائع المصرية بالعدد رقم ٢١٢ بتاريخ ١٧/٩/١٩٦٨ .

وقد حدد قيمة السهم الواحد بمبلغ ٥٠٠ مليم وقد بلغ عدد المساهمين ٢٩٩ مساهما ، وبلغ عدد الاسهم ٥٥٠ سهما وبلغ رأس مال الجمعية عندما بدأنا تأسيسها وفقا لذلك مبلغ ٢٧٥ جنيها ، ثم ارتفع عدد المساهمين الى ٣٦٠ مساهما فى عام ١٩٧٠م ، وبلغ عدد الاسهم ٧٤٠ سهما ، وارتفع رأس المال فى الجمعية الى ٣٧٠ جنيها .

وتتبع الجمعية فى تكوينها وادارتها التنظيمات التى ينص عليها

قانون التعاون رقم ٥١ لسنة ١٩٦٩ ولائحتها التنفيذية بالقرار رقم ٦ لسنة ١٩٦٩ .

ولقد أسند عملية استصلاح الأراضي الزراعية بالقرية الى شركة وادي كوم امبو والتي بدأت العمل في مارس ١٩٦٩ م ، وفي ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٦٩ تم تسليم أول مساحة من الأراضي التي تم استصلاحها وتعميرها والتي تبلغ مساحتها ٢٢ سهم و ١٥ قيراط و ٣٩٠ فدان ثم توالى استصلاح هذه الأراضي حتى تم تسليم آخر الأراضي المستصلحة عام ١٩٧٢ ، ويسود القرية نوعين من الاستغلال للأراضي الزراعية هما : الاستغلال الفردي ، والاستغلال التعاوني .

أولاً : استغلال فردي :

يعتمد الاستغلال القروي للأرض الزراعية على مباشرة مالكيها بنفسه أو عن طريق استئجار العمال الذين يقومون بأداء العمليات الزراعية المختلفة نظير أجر معين ويتعامل أصحابها مع جمعية تجوع ذراو الزراعية ، وقد كانت مساحة الأراضي الزراعية المستغلة

من	ط	ف	ط	ف
استغلالاً فردياً تبلغ	٤	١١	٣٣٤	٠
وصلت أخيراً	١٢	٥٦٤		
من بجملة زعماء القرية من الأراضي الزراعية البالغ مساحتها	٤	٣٣	٧٦٤	
وأصبح عدد المالكين المساهمين بالجمعية	١٢١٢	فرداً		

ثانياً : استغلال تعاوني :

وفي هذا النوع من الاستغلال يقوم ملاك الأراضي الزراعية بالمساهمة بأراضيهم في الجمعية التعاونية الزراعية وتخضع هذه الأراضي للاستغلال الجماعي وتسويق المحاصيل وتوزيع العائد على المساهمين بالجمعية بالتساوي حسب المساحة المملوكة لكل عضو .

وفي عام ١٩٧٢ كان انتاج الأرض ١٦ر٠٠٠ ألف جنيه وكانت
المصروفات ١٦ر٠٠٠ ألف جنيه ، وفي السنة الثانية ارتفع المدخل الى
٢٣ر٠٠٠ ألف جنيه وحصل كل مشترك على عائد قدره (١٥)
جنيها عن الفدان الواحد .

وفي عام ١٩٨١ بلغ ايراد المزرعة ٨٠ر٠٠٠ ألف جنيه وحصل
كل مشترك على عائد قدره (٤٠) جنيها عن الفدان الواحد مع
الوضع في الاعتبار تجنيب ١٥ر٠٠٠ ألف جنيه للتوسع الرأسى للمزرعة .

لقد بلغت مساحة الأراضى الزراعية التى ساهم بها أصحابها في
الجمعية التعاونية الزراعية عندما بدأ تكوينها عام ١٩٦٨ والمستغلة
ط ف

استغلالا جماعيا ١٢ ٤٢٦ أخذت هذه المساحة في التزايد
نتيجة لانضمام أعضاء جدد والمساهمة بأراضيهم في الجمعية حتى
ط ف

بلغت مساحة هذه الأراضى حاليا ١٢ ٥٦٠ من جملة زمام
س ط ف

القرية من الأراضى الزراعية والبالغ مساحتها ٤ ١٣ ٧٦٠
وارتفع عدد مالكيها المساهمين بالجمعية الى ١٢٦٢ فردا وقد يجمع
بعض أصحاب الأراضى الزراعية بين النوعين السابقين من الاستغلال
الزراعى فقد يكون مساهما في الجمعية الزراعية بجزء من أرضه
الزراعية ويقوم باستغلال الجزء الآخر استغلالا فرديا (١) .

وتتنوع المساحة الزراعية الخاضعة لنظام الاستغلال الجماعى
الى ٣٥٠ فدان زراعات قصب سكر ، ٤٨ فدان زراعات موسمية ٢٠
فدان فاكهة ، ٥ فدادين طرق ومصارف وباقى الأرض مازالت ضعيفة
الانتاج ، نتيجة لارتفاع مستوى الماء في الأرض وظهور التملح .

(١) محمد على حسنين : المصدر السابق ص ٥١ .

أهم المحاصيل المنتجة :

البرسيم ، القمح ، الشعير ، السمسم ، الفول السوداني ، قصب
السكر ، وأنواع الخضر ، الطماطم ، الباذنجان ، الكرنب ،
القرنبيط ، البامية ، الكوسة ، الرجل ، البطاطس .

الفاكهة :

وفي عام ١٩٧٣ تم شراء ١٠٠٠ فصيلة من أصناف نخيل البلح
سكوتى ، جنديلة ، برتمود ، وزراين على حدود المشايخ والطرق ،
هذا بخلاف أصناف نخيل البلح البذرية ، البلدية .

وفي عام ١٩٨٢ خصصت مساحة ٢١٨ فدان زرعت شتلات
الموالح والجوافة والتين ، بالإضافة الى زراعة البطيخ ، كما زرع
نصف فدان بالموز المغربى ، هذا بجانب زراعة جميع المشايخ
والطريق المزروعة بأشجار الكافور والكابا .

الانتاج غير الزراعى :

بدأ نشاط الانتاج الحيوانى بالمزرعة منذ عام ١٩٧٢ من عائد
بيع الموالح وتربية الأغنام . وقد بلغ عدد الماعز والأغنام
١٢٠ رأسا أما عدد الأبقار فقد وصل الى ٣٠ رأسا بجانب ٦٠
رؤوس من الجاموس . وتستخدم هذه المواشى فى العمليات الزراعية
المختلفة .
ويوجد بالمزرعة تربيين للحمام يستخدم مخطاتهما فى عمليات
تسميد الأرض وأيضا فى حلية النمل لانتاج العسل النحل ،
وتبضع منتجات التولاج الحمام وخلايا النحل لاهل القرية بأسعار
مناسبة .

أثر التجربة على مجتمع القرية :

لقد تصور « الباحث » أن النظريات الاجتماعية التي جاءت حول المزارع التعاونية في أفكار « سيسموندى » و « فورييه » ، وتجارب روبرت أوين ، و وليم تومسون ، وإبرام كومب ، وموسى العلمى ، كانت هى مصدر الإلهام لقادة وشيوخ دار السلام النوبية في تهيئة المناخ الفكرى لهم في تجربة المزرعة التعاونية . الا أن الواقع كان غير ذلك ، فلم يسمع أحدهم عن هذه النظريات أو تلك التجارب ، ولكن كان كل عملهم يكاد أن يكون مستلهما من خلال كتاب الله ، وسنة رسوله ، قولاً وعملًا . هكذا يقولون في دار السلام النوبية .

والمدهش حقاً أن المشكلات التى صادفت تلك القرية تكاد أن تكون مطابقة لتجارب موسى العلمى في مشروع جمعية التنمية العربية بالنسبة لطبيعة أرضها غير الصالحة للزراعة ومشكلات ملوحة التربة وعدم كفاية مياه الري . الا أن وجه الاختلاف كانت يتمثل في العمل الفردي والعمل الجماعي .

فموسى العلمى اعتمد في مشروعه على إيمانه الفردي ومساعدة المنظمات الرسمية دون مشاركة الجماعة المستهدفة ، ففشل . بينما اعتمد النوبيون في مشروعهم على قرار الجماعة المستهدفة واقناعهم بالهدف وتأكيد ذاتهم التى استمدوها من تراثهم الحضارى ، فنجحوا .

ومما لا يدع مجالاً للشك أن التجربة التى قامت بها قرية دار السلام النوبية في عملية استغلال الأراضى الزراعية الموجودة بها ، قد جاءت بنتائج وآثار ايجابية على مجتمع القرية في المجالين الاجتماعى والاقتصادى . فمن الناحية الاجتماعية أدت التجربة الى تغذية الروح القبلية وشعور الفرد بالانتماء الى قريته . وبالتالى الى مجتمعه وأصبح الفرد مرتبطاً بالجماعة التى يعيش فيها وليس بمعزل عنها .

والواقع ان ظهور القيادة بين أهالى القرية وقدرتها على توحيد جهود جماعتها جعلتهم قادرين على تخطي الصعوبات وتحقيق التطلعات .

أما من الناحية الاقتصادية فان استغلال الأرض بصورة تعاونية قد حل مشكلة تفتت الأرض واستثمار عائدها ليعود على تنميتها ، وتوجيه عائدها في رفع دخل الأفراد المساهمين .

قائمة المراجع

باللغة العربية:

دنيس هـ رونج : علم السكان • ترجمة محمد صبحى عبد الحكيم • مكتبة مصر • القاهرة (١٩٦٧) •

سليم حسن : مصر القديمة جزء ٢ ، دار الكتب المصرية (١٩٤٠) •

مصر القديمة جزء ٤ ، دار الكتب المصرية (١٩٤٣) •

مصر القديمة جزء ٥ ، دار الكتب المصرية (١٩٤٣) •

صدقى ربيع : النوبة بين القديم والجديد • الدار القومية للطباعة والنشر • القاهرة • (بدون تاريخ نشر) •

عبد الرحمن بن خلدون : كتاب العبر • القسم الأول • المجلد السادس • منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر • (١٩٦٨) •

عبد المنعم أبو بكر : بلاد النوبة • دار القلم • القاهرة • (١٩٦٢) •

على زين العابدين : فن صياغة الحلى الشعبية النوبية • الهيئة المصرية العامة للكتاب • القاهرة (١٩٨١) •

كمال حمدى أبو الخير : النظم التعاونية فى الدول المتخلفة • مكتبة عين شمس • القاهرة • (١٩٦٧) •

محمد ابراهيم بكر : المدخل الى تاريخ السودان القديم • المطبعة الفنية الحديثة • القاهرة (١٩٦٨) •

محمد على حسنين : دراسة تحليلية للمزرعة التعاونية بقرية دار السلام
النوبية - (بحث غير منشور) معهد التخطيط القومي • (١٩٧٥) •

محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، سكانه وقبائله • مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر • القاهرة • (١٩٥٦) •

وزارة الشؤون الاجتماعية : تهجير النوبة • تقرير منشور •

(١٨ أكتوبر ١٩٦٣ - ٣٠ يونيو ١٩٦٤) •

سلسلة الألف كتاب : التغيير الاجتماعي والتنمية الاقتصادية • العدد
رقم (٦٦٧) مؤسسة سجل العرب • (١٩٦٧) •

باللغة الأوربية :

Cole, G.H., A History of Socialist Thought. Vo., I — The forerunners
1789 - 1850. Macmillan & Co., Ltd., London, (1955).

Collingwood, R.G., The Idea of History, Agalaxy Book, New York,
(1957).

Emery, B. Walter. Egypt in Nubia, Hutchinson & Co., Publishers,
Ltd., London, (1965).

Gardener A., Egypt of the Pharaohs, Oxford University Press, Lon-
don. (1976).

Green, L., High Dam over Nubia, Shenvol Press, London (1982).

Kennedy, J.G., Nubian Cermonial Life-Studies in Islamic Syncretism and
Cultural Change, The American University in Cairo Press, (1978).

Popenoe, D., Sociology, Englewood Cliffs., N.J. (1980).

رقم الايداع بدار الكتب المصرية ٢٦٢٥/١٩٨٤